813
H856qA

813
H856aA

أماليا ايرهارت

فتاة كانساس

بقلم
جين مورهاو

تعريب
امينه السعيد

دار المعارف بمصر

Howe, Jane Moore

AMELIA EARHART

Courtesy of
The Bobbs-Merrill Company, Inc., U.S.A.

الفهرس

صفحة

١ — أماليا تنزل بيت جدتها ٧
٢ — چيمس الجبار ١٩
٣ — إنها كالطيران تماماً ٢٩
٤ — أيام المدرسة فى أتشيسون ٤١
٥ — الطلائع والهنود الحمر ٤٩
٦ — چيمس الجبار وعربة البريد ٥٦
٧ — مدينة الملاهى فى دى موان ٦٨
٨ — أماليا تذهب للاستكشاف ٧٨
٩ — أسبوع عيد الميلاد فى بيت الجدة أوتيس . ٩٢
١٠ — يوم عيد الميلاد ٩٧
١١ — الزحافة الجديدة ١٠٨
١٢ — الأم تقرأ كتاب « الجمال الأسود » . . ١١٨
١٣ — التخرج ١٣٠
١٤ — الطيران الأول ١٣٧
١٥ — دروس الطيران ١٥١
١٦ — قائدة الطائرة ١٥٩
١٧ — أماليا إير هارت : طليعة الطيران . . ١٦٨

١

أماليا تنزل بيت جدتها

دوى الصفير الذى أطلقه القطار دوياً طويلا عالياً ، ومرت أمام نوافذه المفتوحة سحب الدخان الكبيرة ، ولم تكن روافد النوافذ الخشبية تمنع الغبار والسناج وإن كانت تمنع شظايا الفحم المتطايرة ، ولكن أماليا ايرهارت لم تأبه بهذه الأقذار ، وهى جالسة بجوار النافذة ، فقد كان كل همها أن تعد الخيول البيضاء فى المزارع التى يمر بها القطار .

التفتت إلى أختها الصغيرة موريل ، وقالت :

— هاك واحد آخر ، وبذلك يصير المجموع عشرة . تُرى كم سنرى من هذه الخيول قبل أن نصل إلى هناك ؟

كانت موريل تجلس فى المقعد المقابل لأماليا تتطلع من النافذة الأخرى ، وقد جلست أمها إلى جوارها ، فى حين جلس مستر أيرهارت بجانب أماليا .

كان ذلك فى صيف عام ١٩٠٤ ، عند ما كانت أسرة أيرهارت جميعها مسافرة لزيارة الجد والجدة أوتيس . وكان الجد قاضياً فى أتشيسون بولاية كانساس وكانت الجدة تصنع

كعكاً بالزبيب لم تذق أماليا أحسن منه قط .

تساءلت اماليا وقد نفد صبرها :

— متى نصل إلى أتشيسون ؟

وكانت تكرر هذا السؤال منذ وضعت قدمها فى القطار عند « دى موان » .

نظر مستر أيرهارت فى ساعته الضخمة وقال :

— بعد ساعة واحدة .

وكان الأب محامى السكك الحديدية ، وكثيراً ما سافر بقطاراتها ، ولذلك كان خبيراً بأوقاتها ومواعيدها .

وفجأة تعالى هزيم الرعد على ضجيج القطار ، وبدأت سماء الصيف تعلوها الظلمة ، فقالت مسز أيرهارت :

— يبدو أن عاصفة ستثور ، وعواصف كانساس دائماً شديدة . فأجاب مستر أيرهارت :

— نعم ، وقد تؤخر العاصفة وصولنا إلى أتشيسون .

وندت عن أماليا تنهدة عميقة ما لبث أن وصل بعدها مفتش القطار مستر ويجنز قادماً من الممر ، ثم وقف يتحدث إلى صديقه القديم مستر أيرهارت ، قال له :

— أظن أنك تسافر اليوم بقصد المتعة ؟

فقال مستر أيرهارت :

— صدقت ، يا مستر ويجنز ، إننا مسافرون فى زيارة :

دعنى أقدم لك زوجتى مسز أيرهارت . . . . وهذه أماليا . . . وهذه موريل ، ولكنا نناديهما باسم « ميليا » و « پيدچ » .

قال المفتش وهو يبتسم فى ود :

— كيف حالك يا مسز أيرهارت ؟ وكيف حال الآنستين الصغيرتين ؟ إننا نقابل مستر أيرهارت كثيراً فى هذا القطار ، ومن الجميل أن نعرف أسرته .

انبرت أماليا تقول له :

— لسنا جميعاً هنا ، فإن كلبنا « چيمس الجبار » قد وضع فى عربة العفش .

فقال مستر ويجنز :

— هذا شىء يؤسف له ، ولكن لا تشغلى بالك به ، فرجال عربة العفش أهل للعناية به . . . . يا له من اسم عجيب لكلب ! !

ثم استطرد متسائلا :

— ولكن كيف سميتما باسماء التدليل هذه ؟

فتبدى الخجل فى وجه پيدچ ، أما أماليا فقد ردت على الفور قائلة :

— لقد سمونى باسم جدتى أوتيس ، وكان أبوها لا يناديها باسم أماليا إلا إذا غضب عليها لذنب أتته ، ولم تكن تحب هذا الاسم لذلك فهى لا تنادينى بأماليا بل ميليا فقط ،

وكلهم الآن ينادينى بهذا الاسم .

قالت موريل :

ـ أما أنا فقد أطلقت علىّ ميليا اسم پيدچ .

وقالت أماليا مفسرة :

ـ كانت دائماً تغنى أغنية « ليتل بلو پيدچن »[1] ، فأطلقت عليها كلمة پيدچ . . . خير لها أن تتعلم أغنية أخرى .

قالت موريل :

ـ إنى أحب أغنية « ليتل بلو پيدچن » من تأليف بوجن فيلد ، وسوف أغنيها دائماً . أتحب أن أسمعها لك ؟

وأدارت أماليا رأسها ونظرت من النافذة مرة أخرى ، لأنها لم تكن ترغب فى سماع الأغنية التى بلغ سأمها بها أقصاه لكثرة ما سمعت أختها ترددها .

ولكن پيدچ شرعت تغنى بصوت واضح مرتفع :

« نامى أيتها الحمامة ، وأطبقى جناحيك
« أيتها الحمامة الزرقاء ذات العينين المخمليتين
« نامى على شدو أمك التى تمايل مغردة
« وهى تهز العش الذى يرقد فيه الصغار

« من خلال النافذة أرسل القمر شعاعاً

(١) أى الحمامة الصغيرة الزرقاء ، وكلمة پيدچ تصغير پيدچن أى حمامة

«شعاعاً صغيراً ذهبياً بأجنحة شفافة

وقبل أن تنتهى پيدچ من أغنيتها ، لمع البرق ، وأعقبه دوى الرعد ، فقال مستر أيرهارت :

— من الأفضل أن نغلق النوافذ ، قفا فى ممر العربة يابنتىّ.

وأغلق الرجلان النوافذ الثقيلة ، كما انهمك حمال العربة فى إغلاق بقية نوافذها ، فبدأ جو عربة القطار يصير حاراً خانقاً .

قال مستر ويجنز ، وهو يخطو عائداً إلى ممر العربة :

— إنك فتاة فارعة الطول يا ميليا ، ولك وقفة الجندى كأبيك تماماً .

قالت فخورة :

— بلغت السادسة من عمرى فى الشهر الماضى ، أى فى الرابع والعشرين من شهر يونية ، أما پيدچ فعمرها ثلاث سنوات ونصف فقط . وسأبقى مع جدتى وجدى لأذهب إلى المدرسة فى أتشيسون .

وأضافت پيدچ قائلة :

— وسأبقى أنا أيضاً .

فقال مستر ويجنز وهو يودعهم منصرفاً إلى عمله :

— هذا جميل ، إنى أعرف جدكما ، ويسرنى أن تبقيا معنا .

كانت قطرات المطر ترتطم بزجاج النوافذ ، والسماء تزداد عتمة على مر الوقت ، فحدثت أماليا نفسها قائلة :

ـ لقد أظلمت السماء حتى صارت كالليل .

ثم قالت بصوت مرتفع :

ـ إنى لا أحب العواصف .

وقالت موريل :

ـ وأنا أيضاً لا أحبها .

ووضعت أماليا يدها فى يد والدها وقالت :

ـ إنى أفضل أن أذهب معك إلى كاليفورنيا .

فقالت أمها :

ـ ولكن مدرستك تبدأ عملها قبل عودتنا ، ولن يرضيك أن يفوت عليك بعض الدروس . . . . تخيلى . . . . لقد صرت فتاة كبيرة يا بنيتى ، وستدخلين المدرسة !

قالت :

ـ لا تهمنى المدرسة ، وأريد أن أذهب معكما إلى كاليفورنيا ، وسأفتقدك وأبى كثيراً .

فقال أبوها :

ـ ولم يا ميليا ؟ سوف تمرحين كثيراً عند جدتك ، ولو جئتما معنا ، لأتعبتكما الرحلة الطويلة . . . . إنى ذاهب إلى هناك لقضاء عمل ، وسآخذ والدتكما معى لتشاهد كاليفورنيا .

فقالت پيدج :

– وأنا أيضاً أريد أن أشاهد كاليفورنيا .

فقال :

– سوف تشاهدانها أنت وميليا عند ما تكبران .

قالت أماليا :

– إنى أفضل أن أراها الآن ، ولا أريد أن أبقى فى أتشيسون .

فقالت أمها :

– إن منزل جدتك كبير رحيب ، وجوه رطيب فى الصيف .

وأضاف الأب :

– وتذكرى أيضاً كم تحبين أن تلعبى فى مخزن الغلال القديم .

وأكملت الأم :

– ثم فكرى فى الأوقات السعيدة التى ستقضينها مع بنتى خالتك لوسى وكاترين تشاليس ، وهما تسكنان فى المنزل المجاور ، وستلعبن معاً كل يوم .

قالت أماليا ترجو أمها :

– أرجوك أن تسمحى لى بالذهاب معكما .

ولمع البرق مرة أخرى ، وأضاء السماء المظلمة ، ورددت

الأجواء دوىّ الرعد القاصف ، وانهمر المطر على نوافذ القطار انهماراً ، فتباطأ القطار رويداً رويداً ، وبدا كأنه يتمايل على قضبانه .

وبدأت پيدچ تقول منتحبة :

ـ أنا لا أحب هذا يا أمى .

فأحاطتها أمها بذراعها .

وقالت أماليا :

ـ ما أكثر البرق ! ! أيتحطم القطار ؟

فقال أبوها :

ـ لا أظن ذلك ، فلا تخافى يا ميليا ، وتذكرى أن الشجاعة شيمة أسرتنا دائماً .

فقالت أماليا :

ـ ولكنى لست فى الحقيقة شجاعة يا أبى . . . . إنى أخاف البرق .

وأخفت وجهها فى كتف أبيها .

فقال أبوها :

ـ كان أبى يقص علىّ قصة عاصفة عاتية مثل هذه ، اضطرته الظروف أن يسافر خلالها عند ما ذهب إلى كانساس لأول مرة ، وكان ذلك قبل أن أولد . . . . ولقد سافر فى عربة مغطاة الطريق كله ، من بنسلفانيا إلى كانساس ،

ومعه أحد عشر طفلا .

ورفعت أماليا رأسها إليه دهشة ، إذ لم يكن قد سمعت هذه القصة من قبل ، وقالت :

ـ لا بد أن العاصفة أفزعتهم .

قال :

ـ نعم ، ولكن الطلائع فى كل وقت يجب أن يجابهوا الأخطار ، فتعلموا أن يكونوا شجعاناً . وفى ذلك اليوم اشتدت العاصفة ، وهطل المطر غزيراً ، حتى نفذ إليهم من خلال الغطاء ، وكان الجو بارداً ، والريح ثائرة كالإعصار ، ولم تعد خيول العربة تقوى على الرؤية والمسير ، فلم يبق أمامهم إلا أن يقفوا فى المطر حتى تمر العاصفة .

وسألته أماليا :

ـ ألم تكن هناك شجرة كبيرة يحتمون بها ؟

قال :

ـ لم يجرءوا على ذلك خشية أن تنقض صاعقة على الشجرة فتقتلهم . وفى تلك الليلة اقتصر عشاؤهم على ما تبقى لديهم من خبز الذرة ، فلم يكن هناك عشب جاف يوقدون به ناراً ، وحتى فراشهم فى العربة كان مبتلا بماء المطر .

وتساءلت أماليا بلهفة :

ـ وهل اضطروا إلى محاربة الهنود الحمر ؟

قال :

— لا ، فقد كان الهنود أصدقاء فى ذلك الوقت ، ولذلك أحضر والدى أفراد أسرته ليعيشوا معه فى ولاية كانساس .

قالت فى لهفة وقد بدت قصة المحاربين الهنود مثيرة لها :

— وددت لو أن الهنود ما زالوا إلى الآن بكانساس .

قالت أمها :

— كان بعضهم يعيش فيها حتى نزحت إليها جدتك أوتيس بعد الحرب الأهلية .مباشرة ، فاطلبى إليها أن تقص عليك ما تعرفه من أخبارهم ، إذ عندما رافقت جدتك زوجها مع طليعة النازحين إلى كانساس ، لم تكن قد رأت هندياً من قبل ، ولذلك كانت تفزع عند ما تراهم فى السوق يقبلون عليها ، ويتفقدون سلتها ثم يتحسسون ثوبها . ولكنها لم تعد تفزع منهم عند ما اطمأنت إلى حسن نواياهم ، وعرفت أن حب الاستطلاع البرئ كان مصدر تلك التصرفات .

ونسيت أماليا العاصفة ، كما نسيت لمعان البرق وهزيم الرعد ، وهى تفكر فى رحلة جدها عبر بنسلفانيا فى عربة مغطاة ، وكذلك كانت تفكر فى الهنود الحمر الذين شاهدتهم جدتها أوتيس .

قالت :

— وددت لو كنت من الطليعة أسافر فى عربة مغطاة

وأشاهد الهنود الحمر .

قال والدها :

— ولم لا ؟ فى مقدورك أن تكونى سباقة كهؤلاء الطلائع ، فالدنيا واسعة جداً ، وما زالت الفرص كثيرة لمن يبتغون السبق ؛ ولكن عليك أن تستعينى بالشجاعة لتوفق فى ذلك ، والشجاعة تكتسب يوماً بعد يوم ، فيجب أن تسعى إلى اكتسابها منذ الآن وأنت ما زلت صغيرة .

وسكتت أماليا لحظات كانت تراقب فيها المطر المتساقط على النوافذ فى قطرات كبيرة تصطدم بالزجاج فتنحدر عليه فى خطوط متصلة . وكانت تنظر إلى البرق وهو يلمع فيضىء السماء كلها ، وتصغى لهزيم الرعد الذى تردد الأجواء صداه بعد ومضات البرق الخاطفة .

ومر القطار بمزرعة ، فرأت رجلا متدثراً فى معطفه ، يقود أبقاره إلى الحظيرة هرباً من الأمطار المتساقطة . قالت تحدث نفسها .

— إنه لا يخاف العاصفة ، ولا يصح أن أخافها أيضاً ، فأنا فى مأمن منها ، وما كان لفتاة الطليعة أن تخشى العواصف ، أو يهمها أن يتركها والداها ، ويسافران فى رحلة لطيفة .

ثم قالت بصوت مرتفع :

— لن أخاف البرق مرة ثانية ، وسأبقى مع جدتى وجدى

أثناء غيبتكما فى كاليفورنيا .

قالت الأم :

ـ هكذا تكون ابنتى الكبيرة الشجاعة .

وقال أبوها :

ـ وهذا ما يجب أن تكون عليه الطليعة ، إنى فخور بك يا ميليا .

وكان القطار قد خلف مركز العاصفة فهدأت الأمطار وتبددت السحب واستنارت السماء .

وفجأة فتح مفتش القطار الباب القائم فى نهاية العربة وقال وهو يسير فى الممر :

ـ المحطة التالية هى أتشيسون .

فقالت مسز أيرهارت وهى تنظم شعر فتاتيها :

ـ ألبسا قبعتيكما ، وسيعنى والدكما بأمر الحقائب وچيمس الجبار .

٢

جيمس الجبار

كان نسيم الصيف المنعش يداعب الستائر المنسدلة على نافذة المطبخ ، وأماليا تقف بجوار المائدة ترقب ليلى بل وهى تعجن كعكة الزبيب .

وكان الجد أوتيس يسكن بيتاً كبيراً بنى بالقرميد الأحمر فوق ربوة عالية تطل على نهر ميسورى ، وكان مدخلاه الأمامى والخلفى أبيضين واسعين ، والأشجار الباسقة تظله من كل جانب . وكان للبيت فناء خلفى فيه أشجار الفاكهة وعريشة الكرم ، وفى نهاية ذلك الفناء شيدت مظلة خشبية بجوارها مخزن كبير للغلال ذو سقيفة عالية .

قالت أماليا :

– أتسمحين لى أن أضيف الزبيب ؟

فقالت ليلى بل وهى تقلب عجينة الكعك فى الوعاء بشدة :

– نعم ، يا صغيرتى .

وأضافت أماليا الزبيب ، ثم سكبت ليلى بل

العجينة فى قالب مدهون بالشحم وقالت لأماليا وهى تعطيها الوعاء الذى كانت تعجن فيه :

وأضافت أماليا الزيت

ـ عليك بتنظيف هذا الوعاء .

فقالت الفتاة وهى تزيل عنه بقايا العجين :

ـ إنى مسرورة ببقائى معك ، فإنه أحب إلى نفسى

أن أساعدك فى الطهى من أن أذهب إلى السوق مع جدتى وپيدچ .

ثم أردفت :

ـ ترى متى يعود أبى وأمى من كاليفورنيا ؟

أجابت ليلى بل :

ـ لن يعودا قبل وقت طويل

فقالت أماليا وهى تحك آخر فضلات العجين :

ـ لقد أمضيت وقتاً سعيداً بين جدتى وجدى ، ويسرنى أن أبقى معهما وأذهب إلى المدرسة .

فقالت ليلى بل :

ـ لو أنك سافرت مع أبيك وأمك فى رحلتهما ، ما تعلمت القراءة والكتابة .

قالت أماليا مؤمنة :

ـ نعم ، أفضل أن أبقى هنا ، خاصة وأن بنتى خالتى تسكنان بجوارنا ، وأنا أحب أن ألعب مع توتى وكاتشى .

وفجأة سمعتا نباحاً عالياً وزمجرة وحشية تنبعث من الفناء الخلفى ، فأسرعت أماليا إلى النافذة ، ووقفت على أطراف أصابعها تتطلع منها .

رأت فى الفناء صبيين يعاكسان چيمس الجبار ، كلبها الأسود الكبير ، الذى كان مشدوداً بحبل إلى شجرة . واقترب

أحدهما من الكلب وصرخ فى وجهه ، فوثب الكلب نحوه غاضباً ، ولكن الحبل كان قصيراً فلم يمكنه من الوصول إليه ، وارتد الصبى إلى الوراء فى الوقت المناسب ، وعاود الكلب هجومه فرده الطوق مرة ثانية . ومن الناحية الأخرى جرى الصبى الثانى وصرخ فى وجه چيمس الجبار ، فاستدار الكلب الغاضب إلى عدوه الجديد فى هجمة شديدة ، ردها الحبل فى عنف ، كاد الحيوان معه يقفز فى الهواء .

ولم تتردد أماليا لحظة واحدة ، فقد كان الجبار فى حاجة إلى معونتها : كان كلبها المحبوب ، وكانت تشعر أيضاً كأنه فرد من أفراد أسرتها ، مثل پيدچ وأمها وأبيها .

دفعت الباب بشدة ، وخرجت منه إلى الفناء الخلفى مسرعة ، صرخت فى الصبيين قائلة :

ـ كفّا أيها الصبيين عن إغاظة كلبى ، فإن مثل هذه الوثبات تؤذيه .

وكف الصبيان عن عبثهما ، وتطلعا إلى الفتاة الصغيرة الغاضبة ، ثم نظرا ثانية إلى الكلب الثائر ، قالت وهى تجرى إليهما :

ـ رأيتكما تعاكسانه وتدفعانه إلى الوثوب نحوكما ، كفا عن هذا العبث حالا .

قال أكبر الصبيين :

كنا نداعبه فقط

فقالت :

– ولكن الجبار لا يرى فى ذلك دعابة . أنتما ولدان شريران ، وإنى أعرفكما أيضاً ، فأنت بايلى واجونار . . . . وأنت چاريد فوكس .

ولم يأبه چاريد بما قالته ، فقفز نحو الجبار مرة ثانية ، فوثب الكلب بدوره ، وهنا وقعت الواقعة ، فانقطع الحبل ، وأصبح الجبار طليقاً .

واندفع الجبار وراء الصبيين ، مزمجراً من أعماق حلقه ، وانتصب الشعر الأسود حول عنقه ، وكشر عن أنيابه الحادة . ورغم أنه لم يكن قد عقر أحداً من قبل ، فإن أماليا كانت واثقة من أنه سيعقر هذه المرة من أمعنا فى إغاظته .

صرخت فى الصبيين قائلة :

– أسرعا إلى السقيفة ، أسرعا !

وجرى الصبيان ، وتسلقا السلم الخشبى المسند إلى السقيفة الخشبية ، فى سرعة خاطفة ، حتى لكأن أقدامهما لم تكن تمس درجاته .

وتتطلع الصبيان الفزعان من فوق السقيفة إلى الكلب الثائر الذى كان يثب مزمجراً عند قاعدة السلم . ولم تكن أماليا قد رأته فى مثل هذا الغضب من قبل ، فلزمت مكانها مذهولة ،

وكان الكلب الغاضب يثب مزمجراً عند قاعدة السلم

وإذ ذاك التفت الكلب إليها ، فلما رآها تقف وحيدة تحت الشجرة ، اندفع نحوها مكشراً عن أنيابه غاضباً .

وصرخ بها بايلى واجونار محذراً :

ـ اجرى بعيداً ، إنه كلب كَلِب[1] .

وتسمرت أماليا فى مكانها ، وقد بدا الكلب أمامها مريضا ثائراً متوحشاً ، فهل تهرب منه ؟

ولكن أماليا لم تهرب ، وظلت فى مكانها ثابتة ، فإن الجبار يعرفها ولا يمكن أن يمسها بضر .

قالت للكلب الغاضب :

---

(١) كلب ـ مريض بمرض الكلب وهو ماتسميه بالعامية « مسعور » .

— چيمس الجبار ، عليك بالهدوء ، وانظر ما فعلت ، فقد سكبت إناء الماء ، وكان يجب أن تلزم مكانك بجوار الشجرة .

وكان چيمس الجبار ما زال يزمجر غاضباً ، وينظر إلى الصبيين الواقفين فوق السقيفة . وأدركت أماليا أنها ما زالت فى خطر منه ؛ ولكنها لم تتحرك من مكانها .

قالت تهدئه :

— ارقد يا جبار ، وكن هادئاً طيباً ، فلن ينالك سوء ، لن أدع أحداً يؤذيك .

وهدأ الجبار فى النهاية ، ورقد على الأرض تحت قدميها .

قالت للصبيين المختبئين فوق السقيفة :

— من الخير أن تذهبا ، ولا تعودا إلى هذا الفناء مرة أخرى .

ثم ركعت بجوار كلبها العزيز ، وجعلت تلعب بأذنه مداعبة .

وكانت ليلى بل قد شاهدت الواقعة من نافذة المطبخ ، وهرعت إلى حجرة الجلوس تخبر القاضى أوتيس بما حدث ، فهبط الجد السلم الخلفى مسرعاً ، وقال بلهفة ، وقد شحب وجهه :

— ميليا ، حبيبتى ، هل أنت بخير ؟

أجابت :

— نعم ، إننى بخير يا جدى ، كان هذان الصبيان يعاكسان چيمس الجبار .

وكانت ليلى بل قد تبعت سيدها إلى الفناء الخلفى ، فقالت محنقة :

— إنهما يستحقان الضرب بالسياط . فدعونى أؤدبهما بنفسى .

قال الجد يخاطب الصبيين :

— عودا إلى بيتكما ، وإياكما ومعاكسة كلب ميليا مرة أخرى ، فمن حسن الحظ أنه لم يعقركما .

قال الصبيان فى ذلة ، وهما يهبطان إلى الأرض :

— سمعاً وطاعة ، أيها القاضى أوتيس .

والتفت الجد إلى حفيدته وقال :

— كنت مثلا للشجاعة ، يا ميليا ، وإنى فخور بك . لقد أحسنت صنعاً بالثبات فى مكانك . كان يعقرك حتما ، إذا جريت منه هاربة .

سألتها ليلى بل :

— لماذا لم تهربى ، يا بنيتى ؟ ألم تخافى ؟

قالت :

— بلى ، خفت كثيراً ، ولكن أبى كان قد نصحنى بالشجاعة .

قال الجد :

ـ أحسنت التصرف ، يا ميليا ، وكنت كأشجع ما تكون عليه فتاة صغيرة ، فلا بد من شجاعة عظيمة ، لتجابهى هادئة مثل هذا الكلب الغاضب .

قالت وهى تضع يدها الصغيرة فى يد جدها الكبيرة :

ـ يسرنى أن الجبار لم يعض الصبيين ، فهو كلب كبير ، وعقره لا شك شديد .

قال الجد : أى كلب كان تثيره المعاكسة

قال :

— لن يعودا إلى معاكسته مرة أخرى .

قالت :

— أخشى أن تلوم جدتى چيمس الجبار على ما حدث ، فهى تقول دائماً إنه كلب ضخم لا يناسبنى وپيدچ ، وقد تصر على التخلص منه .

وانحنت فوق كلبها تربت رأسه بحنان ، فيهز ذنبه راضياً .

فقال الجد :

— لا تقلقى يا ميليا ، فأى كلب كان ، تثيره المعاكسة . وما دمت وپيدچ تعيشان معنا ، فسيظل چيمس الجبار معكما .

٣

إنها كالطيران تماماً

قالت أماليا من فوق ظهر المظلة الخشبية ، وهى تدق بمطرقة على لوح قصير يمتد بعرض السقيفة :

– ناولينى يا پيدچ قدراً آخر من المسامير .

وكانت پيدچ تجلس بجانب المظلة فوق كوم من الألواح الخشبية القديمة ، فزحفت من مكانها وأخذت بعض المسامير ، ثم صعدت السلم نحو أختها الكبيرة . وانزلقت أماليا على السقيفة لتقابلها ، وقالت :

– أعتقد أن هذا أحسن ما صنعناه فى حياتنا ، ولكن ما زال أمامنا عملا كثيراً .

قالت أختها :

– من حسن حظنا أن عثرنا على هذه الألواح الثلاثة .

قالت أماليا :

– صدقت . . . ولو لم نعثر عليها خلف مخزن الغلال لبقيت هناك منسية حتى يصيبها التلف .

وكان الجبار قابعا تحت عريشة الكرم فى كسل ، فما لبث أن زمجر فجأة وهب على أقدامه واقفاً . ولما التفتت أماليا تستطلع السبب رأت چاريد فوكس قادماً ، فلم تعجب لما بدا على الجبار من غضب ، وتساءلت : أما كان من الأفضل لهذا الصبى أن يبقى فى منزله بعيداً عن الكلب ؛

قالت أماليا للكلب مهدئة :

ـ اسكت يا جبار . . . وارقد فى مكانك .

وبادر چاريد قائلا :

ـ جئت يا ميليا أعتذر لك عن معاكستى كلبك ، ولن أفعل ذلك مرة أخرى . إنى أحضرت له قطعة من العظم .

وفتح چاريد ورقة ملفوفة ، وأخرج منها قطعة كبيرة من العظم ، قدمها لجيمس الجبار ، فشمها الكلب مغتبطاً ، وهز ذنبه راضياً .

قالت أماليا للصبى :

ـ حسناً ، ويسرنى أنه لم يصبك بأذى

وتسلقت أماليا السقيفة راجعة إلى مكانها ، وعادت تدق عليها بمطرقتها . ووقف چاريد يرقبها باهتمام ، وقال :

ـ ماذا تصنعين ؟

أجابت وهى تدق مسماراً :

ـ إننا ننفذ فكرة جديدة ، فقد عنّ لى وپيدچ أن

نصنع عربة انزلاق تنحدر من هذه السقيفة .

وأخذت تدق مسماراً ، ولكنه انثنى تحت مطرقتها ، فقال چاريد :

— أتحبين أن أساعدك ؟

قالت :

— لا ضرورة لذلك .

ووقف چاريد يرقبها فترة أخرى وهو يتمنى لو أنها أشركته معها فيما تعمل . وهبطت السلم زاحفة ، وبدأت ترفع لوحاً خشبياً طويلا ، ولكنه كان حملا ثقيلا ، فقال چاريد :

— أستطيع أن أحمل عنك هذا اللوح ، فأنا قوى الجسم ، وعمرى ثمانية أعوام .

وترددت قليلا فى قبول معونته ، متأثرة بسابق معاكسته لكلبها ، ولكنها عادت فتذكرت أنه صالحه بقطعة كبيرة من العظم .

قالت :

— أظنك قادراً على مساعدتى ، فپيدچ صغيرة جداً ، وكان المفروض أن تعيننى توتى وكاتشى تشاليس ، بنتا خالتى ، ولكنهما لم تحضرا بعد .

فابتسم چاريد وقال :

— تُرى ما الذى أوحى إليك وپيدچ بفكرة عربة

الانزلاق هذه ؟

قالت :

– رأينا واحدة فى حديقة الملاهى بمدينة دى موان ، وكانت تنزلق بسرعة شديدة ، فأبى والدى أن يسمح لنا بركوبها .

تسلقت أماليا السلم عائدة إلى مجلسها فوق السقيفة وقالت :

– سيكون هذا اللوح الطويل أحد مجارى العربة يا چاريد ، فارفعه إلى لأثبته هنا بالمسامير .

ورفع چاريد اللوح الخشبى ، وساعدته فى ذلك موريل ، والتقطت أماليا المطرقة ، وحاولت أن تدق بها على مسمار ، فطرقته بأشد ما لديها من قوة ، ولكنه انثنى . فأخرجته ، وأخذت مسماراً آخر ، وطرقته أيضاً بشدة ، فانثنى كسابقه . قال چاريد وهو يصعد السلم إليها :

– دعينى أقوم عنك بهذا العمل ، لا تطرقى بهذه الشدة فى بادئ الأمر . هكذا تدق المسامير .

ودخل المسمار مستقيما فى مكانه ، فقالت أماليا :

– إنك ماهر يا چاريد ، ولكن أحب أن أتعلم كيف أدقها كما يجب ، فدعنى أجرب المسمار التالى .

وأمسكت المسمار ، وطرقت عليه بخفة ، فدخل فى هذه المرة ولم ينثن .

* * *

أسرعت توتى وكاتشى إلى الفناء الخلفى لمنزل الجدة أوتيس ، وكانت توتى تصغر أماليا بأربعة أشهر ، وكانت كاتشى فى سن موريل . . .

كانت الفتاتان تعرفان بالفكرة الطريفة ، فقد أوضحت لهما أماليا فى اليوم السابق كيف تصنع عربة الانزلاق ، ولذلك حضرتا مسرعتين حتى لا تفوتهما متعة العمل من بدايته . فالحقيقة أنه منذ حضرت ميليا وپيدچ إلى هذا البيت ، وأسباب التسلية موفورة ، بفضل ميليا التى لا ينضب لابتكاراتها معين

قالت توتى :

— كان علينا أن نساعد أمنا فى بعض الأعمال ، ولذلك تأخرنا عن الحضور قليلا .

وقالت كاتشى :

— أريد أن أعمل معكما فى عربة الانزلاق .

فقالت أماليا :

— ما زال أمامنا عمل كثير ، وچاريد يساعدنا أيضاً ، إنه قوى ويعرف كيف تدق المسامير .

واشتغل الأطفال بجد وهمة ، يرفعون هذا ، ويشدون ذاك ، ويكثرون من الطرق والدق . وتم وضع المجرى الذى تنزلق عليه العربة أخيراً ، وكان مكوناً من ثلاثة ألواح طويلة ، تنحدر من سطح السقيفة إلى الأرض ، فى شكل منزلق طويل ، وقد ثبتت على جانبيه حافتان خشبيتان تحفظان العربة الصغيرة داخل المجرى ، وتقيانها من السقوط .

قالت أماليا :

— علينا الآن أن نصنع العربة ، وأعتقد أن هذا اللوح المنبسط يصلح لها تماماً ، وسوف نثبت فى أسفله عجلات قبقاب انزلاقى القديم .

سألها چاريد :

— وكيف تثبتين العجلات فى اللوح ؟

وكانت هذه فى الواقع مشكلة عويصة ، فجعلت أماليا تفكر فى حل لها وهى تقلب القبقاب بين يديها .

قالت أخيراً :

— كل ما نحتاج إليه من القبقاب هذه العجلات الصغيرة .

فقال چاريد :

— أظن أن خلعها ميسور ، فهى مثبتة بمسامير محواة .

فقالت أماليا :

– فلنخلعها إذن ، ونثبتها فى اللوح بمسامير مثنية .

وقال چاريد ضاحكاً :

– وأنت يا ميليا خير من يثنى المسامير ! !

وقالت أماليا ضاحكة :

– صدقت . إنى بارعة حقاً فى ثنيها !

وبعد قليل نظرت ميليا إلى ثمرة عملهم بعين الرضا ، وقالت :

– أعتقد أننا انتهينا .

فقالت پيدچ

– هذه أجمل عربة انزلاق رأيتها فى حياتى .

وقالت ميليا :

– سوف أجربها ، فربما اقتضى الأمر أن ندخل عليها بعض التعديلات .

فقال چاريد :

– أليس من الخير أن أجربها أولا لأنى صبى ؟

أجابت :

– لاتظننى خائفة ، وليس هناك فارق بين صبى وفتاة .

ثم صعدت إلى ظهر السقيفة ، وناولها چاريد العربة الصغيرة ، فصرخت توتى قائلة :

– حذار أن تسقطى يا ميليا ، فالسقيفة عالية جداً .

هتفت قائلة : ها أنا ذا قادمة

وجلست أماليا فوق العربة الصغيرة باحتراس وهتفت قائلة :

ـ ها أنا ذا قادمة .

ودفعت العربة ، فتعالى صرير عجلاتها وهى تنحدر منزلقة ، وما أن وصلت إلى نهاية المجرى ، إلا وانقلبت أماليا من فوقها رأساً على عقب واستلقت ممدودة على الأرض .

واندفع الجبار جرياً إليها وهو ينبح ، وصرخ الأطفال جزعين ، وانهالت عليها أسئلتهم :

ـ هل أصابك سوء ؟

ـ أأنت بخير يا ميليا ؟

وجلست أماليا وقالت :

– طبعاً أنا بخير ، لقد كانت رحلة رائعة ، ولكن مجرى العربة أقصر مما يجب ، وسوف نصلح هذا النقص .

قالت توتى :

– ألم يثنك السقوط عن المضى فى هذه اللعبة ؟

فقالت أماليا :

– لا بالتأكيد . سوف نطول المجرى بمزيد من الألواح الخشبية .

ومرة أخرى تعالى الطرق فى الفناء الخلفى لبيت الجدة أوتيس ، وصعدت أماليا إلى ظهر السقيفة ، ثم جلست فوق العربة الصغيرة ، وقالت :

– ها أنا ذا قادمة .

وانزلقت بها العربة الصغيرة فى طريقها مسرعة ، ووقفت عند نهاية المجرى ، فقفزت منها أماليا وهى تقول مغتبطة :

– رائع . . . غظيم . . . إنها كالطيران تماماً ، كأنما طرت بها فى الهواء ! !

ونبح الجبار منفعلا ، واتصل نباحه طويلا .

وسمع القاضى أوتيس وزوجته نباح الجبار ، وكانا يجلسان فى مدخل البيت الأمامى ، فرفعت مسز أوتيس

عينيها عما كانت تطرزه بابرتها ، وأنصتت إلى نباح الكلب باهتمام . قال القاضى :

ـ ترى ماذا يفعل البنات ؟ إن الجبار ثائر ، فمن الخير أن نستطلع الخبر .

وأسرع الاثنان إلى الفناء الخلفى ، وهناك شاهدا مجرى خشبياً ينحدر من السقيفة إلى الأرض ، وفى أعلاه يجلس چاريد فوكس وتوتى تشاليس فوق لوح صغير ذى عجلات ، وكانت پيدچ وكاتشى تصعدان السلم إلى ظهر السقيفة ، وأماليا تدق على قطعة من الخشب .

فقالت الجدة :

ـ ما هذا يا ميليا ؟ وماذا تفعلون يا أطفال ؟

فأجابت أماليا بحماسة :

ـ هذه عربة انزلاق يا جدتى ، إنها كالطيران تماماً ، وكأنما طرت بها فى الهواء .

ـ طرت ؟ ! ما هذه السخافات التى تبتكرينها ؟ إنى لم أر أخطر من هذه اللعبة قط . وسوف تدقون أعناقكم بها يا أطفال .

وسأل القاضى أوتيس :

ـ أ أنت الذى صنعتها يا چاريد ؟

أجاب الصبى متفاخراً :

– ساهمت فى صنعها فقط .

فقالت الجدة أوتيس :

– من الواضح أنها فكرة صبى ، وكان أولى بك يا چاريد أن تكون أعقل من ذلك ، فلا تقود البنات إلى هذه المتاعب .

فانبرت أماليا تدافع عنه قائلة :

– ولكنها فكرتى يا جدتى ، وكل ما فعله چاريد أن ساعدنى على صنعها .

فقالت الجدة :

– ولماذا لا تلعبين بدميتك كغيرك من البنات ؟

وقال الجد :

– سآمر الخادم أن يخلع عربة الانزلاق هذه بعد ظهر اليوم .

فصرخت أماليا قائلة :

– كيف تخلعها يا جدى وما كدنا ننتهى من صنعها ؟

هز الجد رأسه وقال :

– ما هكذا يلعب البنات ، وسوف يصيبك منها الأذى ، واذكرى أنك ما زلت فى السادسة من عمرك . إنى لأتساءل كيف خطرت لك هذه الفكرة إطلاقاً .

قالت أماليا :

– لقد استمتعت كثيراً بالانزلاق عليها ، فهلا سمحت للآخرين بتجربتها ، من العدل أن يأخذوا أدوارهم كما أخذت دورى ، وأن يطيروا كما طرت .

ونظر چاريد وتوتى إلى عربة الانزلاق بحسرة وأسف ، وترقرقت الدموع فى عينى كاتشى وپيدچ .

قالت توتى :

– لم نركبها بعد !

وقال چاريد :

– وقد اشتغلنا فى صنعها طوال الصباح !

ونظر الجد إليهم بعطف وقال :

– لا يا أطفالى ، لن أدعكم تخاطرون بأنفسكم فى هذه اللعبة .

وكانت عربة الانزلاق جميلة ممتعة ، فتطلعت إليها أماليا متحسرة وأحزنها أن تفقدها بعد ما بذلته من جهود فى صنعها ، ولكنها لم تعترض ، فقد كانت تعرف جيداً أن جدها لن يرجع عن قراره ، فلا فائدة من الجدل معه .

قالت للآخرين فى همس :

– لا عليكم ، سوف أبتكر لكم غيرها ، فما زالت هناك أشياء كثيرة لم نلعب بها بعد .

٤

أيام المدرسة فى اتشيسون

تردد وقع أقدام القاضى أوتيس فى البهو ، وهو يهبط الدرج إلى قاعة الطعام ، وصرت الأرض الخشبية صريراً لطيفاً تحت ثقل حذائه الأسود الكبير ، وانحنى يقبل زوجته وهو يقول :

— صباح الخير يا عزيزتى ، أين البنتان الصغيرتان .

وجلس إلى المائدة الكبيرة أمامها .

قالت الجدة :

— ستأتيان حالا ، إنهما تحضران كتبهما .

ودقت الجرس تنادى ليلى بل كى تأمرها بتقديم طعام الإفطار .

قال :

— إننى سعيد لوجودهما معنا أثناء دراستهما ، فإنى أشعر كأنما أمهما عادت صغيرة .

قالت الجدة :

— تقريباً . . فيليا لا تقل عن أمها ظرفاً وحسناً ،

ولكنها تفضل أن تلهو بالمطارق والكرات الخشبية على أن تلعب بدميتها . وأعتقد أنى سأجد بعض الصعوبة فى تهذيب ميولها الصبيانية هذه لأجعل منها سيدة صغيرة .

قال الجد وهو يفض بريد الصباح :

— خلى عنك ، فميليا فتاة فريدة رغم ميولها الصبيانية .

وتعالى دبيب أقدام صغيرة تهبط السلم ، وعلت الضوضاء فى الردهة الكبيرة ثم دخلت ميليا وبيدج تقولان :

— صباح الخير يا جدى . . صباح الخير يا جدتى .

أجاب الجدان :

— صباح الخير أيتها العزيزتان .

قالت أماليا :

— إنى جوعانة جداً ، وفى مقدورى أن ألتهم اثنتى عشرة بيضة وعشرين كعكة .

قالت الجدة :

— أشك فى ذلك ، ولكن جربى ! !

والتفت الجد إلى أماليا وقال :

— إنى مغتبط بتقريرك المدرسى ، ويسرنى أنك تجيدين الإنشاء ، ولكن درجاتك الممتازة فى الحساب تدهشنى ، فلا أذكر أننى رأيتك يوماً تراجعينه أو تحلين مسائله .

فقالت أماليا ، وفمها محشو بالكعك :

– إنى أحل مسائل الحساب فى عقلى ، وأجدها أسهل حلا بهذه الطريقة . ولقد كنت أعتقد أن الكتابة بالأحرف الصغيرة صعبة عسيرة ولكنى وجدتها بسيطة. فضلا عن أنى شديدة الإعجاب بمس هول مدرستى .

قالت پيدچ :

– ولكن الكتابة بالأحرف الكبيرة صعبة جداً .

فقالت أماليا :

– هراء ، كل ما فى الأمر أنك حديثة العهد بالمدرسة .

وقال الجد :

– جاءنى من والدتكما خطاب .

فسألته پيدچ :

– ترى متى يحضر أبى وأمى لزيارتنا .

قال :

– يوم الجمعة القادم ، وسيقيمان معنا أسبوعاً كاملا .

فقالت أماليا :

– وسأكون سعيدة بلقائهما ، فإنى لا أكاد أعرف لهما مقراً ، فهما دائما الطواف ، وقد زارا بلادا كثيرة : شيكاغو ، وديترويت ، وديموان ، وكانساس سيتى .

قالت پيدچ ضاحكة :

– كأنك – وأنت تذكرين هذه البلاد – مفتشة

بالسكك الحديدية .

وتطلعت الجدة إلى ساعتها وقالت :

ـ لقد أزف موعد المدرسة . إلبسا المعاطف فإن صبحيات شهر أكتوبر رطبة باردة .

وقامت الفتاتان وقبلتا جديهما وبعد أن اختطفتا كتبهما انصرفتا من البيت . وفى الخارج انضمت إليهما توتى وكاتشى ، وكان جرس المدرسة يدق ، فسار الأربعة إليها .

وقفت مس هول تدير نموذج الكرة الأرضية مرة بعد مرة والأطفال حولها ينظرون . وقالت :

ـ هذه كانساس قلب الولايات المتحدة .

قالت چنچر پاركس :

ـ ما أكثر المحيطات فى العالم !

وأضافت أماليا :

ـ وما أوسع الأرض أيضاً

قالت المدرسة وهى تدير الكرة الأرضية فى بطء وتشير بأصبعها إلى بعض أماكن منها :

ـ هذه أوربا ، وهذه الجزر البريطانية ، وهنا ترون أفريقيا ، أما فى الجانب الآخر فتقع آسيا ، وفى أقصى الجنوب ترون أستراليا . وهذه جزر هاواى فى وسط المحيط الهادى .

سألها بيلى واجونار :

ـ ترى ما نوع الحيوانات التى تعيش هناك ؟

قالت :

ـ هذا ما سندرسه فى علم الجغرافيا ، كما سندرس أسماء ممالك العالم ومدنها وأنهارها وجبالها

قال إيدى چاكسون :

ـ وهل نتعلم شيئاً عن سكان هذه البلاد ؟

قالت المدرسة :

ـ ليس فى علم الجغرافيا ، فدراسة الناس من علم التاريخ .

فقال إيدى :

ـ إن دراسة الناس تعجبنى .

فقالت أماليا :

ـ وأنا أفضل دراسة البلاد ، وبودى أن أزور بعض هذه الممالك .

فقالت لها توتى :

ـ ولكنها بلاد بعيدة . انظرى كيف تبدو ولاية كانساس صغيرة جداً على الكرة الأرضية !

فقالت أماليا :

ـ بوسع الطيور أن ترى كل هذه البلاد . ولا شك

أن العين من حالق تبصر الدنيا خريطة واحدة مثلما تبدو على هذه الكرة . بودى لو صرت طائراً مدة من الزمن .

وضحكت كلارا نيوكومب فى صوت خفيض ، وقالت :

— سوف تكونين بالأجنحة مضحكة !

فقالت أماليا :

— لن أكون مضحكة إذا ما اعتاد الناس رؤيتى كذلك ، وإذا ما اعتدت أنا على الطيران بها .

قالت مس هول :

— يالها من فكرة عجيبة أن ينقلب الإنسان طيراً . ولكن ألا تعلمين بوجود الطائرة ؟ إنها وإن لم تضارع الطيور فى طول رحلاتها ، إلا أنها تطير على كل حال .

قالت أماليا :

— نعم . يمكننى أن أستقل طائرة ، وأسافر بها إلى تلك البلاد ذات الأسماء العجيبة : نيوفاوندلاند ، وويلز ، وهاواى ، وأفريقيا .

فابتسمت المدرسة وقالت :

— لم تتمكن الطائرات بعد من الوصول إلى تلك البلاد البعيدة يا أماليا ، فهى حديثة الاختراع صغيرة الحجم . ولكن احتفظى بهذه الآمال فربما استطعت أن تحققيها بطريقة ما .

فقالت أماليا :

— إن خير طريقة تمكننى من رؤية الدنيا ، أن أصبح طيراً ، فالطيور تسبح فى الجو منذ الأزل .

وضحك البنات والأولاد ، وضحكت معهم مس هول ، ثم قالت :

— لقد انتهى درس الجغرافيا وحان وقت الإنشاء ، فأريد منكم أن تكتبوا موضوعاً عما كنا نتكلم فيه هذا الصباح .

وعاد الأولاد إلى مقاعدهم ، وأعدوا أقلامهم وكراساتهم. وتململ بعضهم مفكراً ، وسبح بعضهم الآخر بأنظاره خارج النافذة ، أو عض بأسنانه على طرف القلم ، ثم بدءوا يكتبون .

وبعد وقت قالت مس هول :

— انتهى زمن الكتابة ، فأعطونى ما كتبتم .

ونظرت إلى كومة الأوراق التى وضعها التلاميذ أمامها وجعلت تقلبها ورقة ورقة ، ثم اختارت واحدة منها وقالت :

— هاكم موضوع طيب فانصتوا حتى أقرأه عليكم ، إنه موضوع أماليا

وشرعت تقرأ

إنى أرقب الطيور طوال يومى ،
وأتمنى أن أطير مثلها .
ترى هل تنظر الطيور إلى الأرض أحياناً

إنى أرقب الطيور طوال يومى ، وأتمنى أن أطير مثلها

وتتمنى لو كانت إنساناً مثلى ؟
هل يأخذنى أبى إلى السرك قريباً ؟

٥

الطلائع والهنود الحمر

وصل والدا أماليا وپيدچ ، فذهبت الفتاتان مع جدهما إلى المحطة لاستقبالهما . وفى اليوم التالى – أى يوم السبت – وعد الأب أن يلعب معهما لعبتهما المحبوبة المفضلة .

وفى الفناء الخلفى لبيت الجد أوتيس ، تحرك باب مخزن الغلال قليلا ، وتطلعت من خلفه أماليا ، وما أن سمعت صوتاً خلفها ، إلا وتراجعت مسرعة ، وهى تقول هامسة :

– حذار يا پيدچ . اسكتى ولا تحدثى صوتاً ، وتذكرى أننا طلائع وأن الهنود الحمر يحيطون بنا ، فهل تحبين أن يسمعوا أصواتنا فيأسرونا ويسلخوا جلود رءوسنا ! ؟

قالت پيدچ :

– لا أحب أن يسلخ جلد رأسى .

وقالت كاتشى

– ولا أنا أيضاً .

فقالت توتى

– إننا نلعب فقط ، فلا تخفن كالأطفال ، ولا تأخذن

أقوالنا على محمل الجد .

وقالت أماليا :

— تذكرنا أننا طلائع نريد الإقامة فى ولاية كانساس ، والشجاعة من شيم الطلائع ، فتشجعن . إن أبى يقوم بدور زعيم الهنود وچاريد بدور الهندى الكشاف .

واختلست أماليا نظرة أخرى من فرجة باب المخزن ، ثم قفزت راجعة إلى الداخل وقالت :

— إنهم قادمون ، وهم على استعداد للقتال .

وصرخت توتى :

— ماذا نصنع ؟ ماذا نصنع ؟

فقالت أماليا

— يجب أن نختبئ ، فهيا بنا إلى السطح

فهتفت بها توتى قائلة :

— أسرعى

فأجابت أماليا :

— بل اصعدى أنت أولا ، ومن بعدك تصعد البنتان الصغيرتان ، وسأكون أنا فى المؤخرة .

وبدأ البنات الأربع يصعدن السلم ، فلما وصلن إلى منتصفه ، التفتت أماليا خلفها ، فرأت باب المخزن ينفتح ، ويدخل منه زعيم الهنود والكشاف .

وكان مستر أيرهارت يضع على رأسه تاجاً من الريش ، وچاريد يرتدى ثياب الهندى الكشاف ، فيحيط رأسه بشريط أحمر ، برزت منه ريشة ديك رومى . وكان وجهه ملطخاً بالأصباغ الحمراء والزرقاء والصفراء . هتفت أماليا تصيح بهم :

— مرحى ، إن الهنود يتعقبوننا .

وصاح چاريد يقلد النداء الحربى الهندى :

— وا . . وا . . وا . . .

قال الزعيم :

— إنى أرى طلائع . . . إنى أقبض عليهم

وجرى نحو السلم الموصل إلى السطح وفى أعقابه الكشاف الهندى ، فصرخت أماليا سروراً ، كما صرخت الأخريات مغتبطات بهذه اللعبة المثيرة ، وواصل الطلائع صعودهم السلم ، فوصلت توتى إلى السطح بسلام ومن خلفها زحفت پيدچ وكاتشى ، وكادت أماليا أن تصل ، غير أن الهنديين أدركاها ، وأوشكا أن يمسكا بها لو لم تدركها زميلاتها بالمعونة . وجذب البنات أماليا إلى السطح بسلام ، فهتفت بهن قائلة :

— أقفلن باب السطح .

ولم يكن قد سبق لهن إقفاله ، فتكاتفن جميعاً على دفعه وقال الزعيم الهندى ، وهو يشرع فى اقتحام الباب :

– إنى أقبض عليكم جميعاً .

وما أن أتم جملته إلا وتمكن الفتيات من إقفال الباب بعد دفعة شديدة ، صرخ بعدها مستر أيرهارت صرخة عالية . ولم تكن صرخة الزعيم الهندى ، أو صرخة اللعبة التى يلعبونها ، بل كانت صرخة ألم شديد أثر حادث وقع له . واجتمع الفتيات وراء الباب يحاولن فتحه ، ويتساءلن عما حدث لمستر ايرهارت ، ثم فتح الباب فى النهاية وأطل منه الفتيات وعلائم الجزع تبدو فى وجوههن .

كان حادثاً فظيعاً ، فقد صفقت الباب فى وجه أبيها فأصاب أنفه بجرح بليغ انساب الدم منه إلى وجهه وصدره .

وشهقت أماليا هلعاً ، وبكت پيدچ وكاتشى ، وجعلت توتى تقفز فى مكانها بانفعال .

صرخت أماليا جزعة :

– إن الدماء تنزف من وجهك يا أبى .

وقالت پيدچ منتحبة :

– لقد آذيت والدى يا ميليا .

وهبطت أماليا السلم ، وقالت وهى تحنو على أبيها :

– صدقنى يا أبى ، ما قصدت أن أوذيك ، فكيف أصلح غلطتى .

وضغط مستر أيرهارت أنفه بمنديله ، ولكن النزيف لم

ينقطع . فقال يطمئنها :

— لا تجزعى . إنها إصابة هينة ، حدثت عن غير قصد .

قالت أماليا :

— إنى شديدة الأسف لما حدث ، لم أكن أعرف أنك دنوت من الباب إلى هذا الحد .

قال مستر أيرهارت وهو يهبط السلم فى بطء :

— سأعود إلى المنزل ، فانزلن السلم باحتراس .

ونزل الطلائع السلم بسرعة ، وما زالت پيدچ وكاتشى تبكيان . أما أماليا فكانت الدموع تترقرق فى عينيها ، وهى تقول فى نفسها « قد جرحت أبى ، ولم أكن أقصد ذلك ، ولكنى جرحته على كل حال . . . إنى أحبه كثيراً وقلما أراه ... كنت ألعب معه ولكنى آذيته » .

وكان چاريد يقف عند أسفل السلم ، فلما رأى ما حل بأنف مستر أيرهارت قال :

— يالله الداهية ، إنها تنزف بشدة !

وتساءلت توتى :

— ترى ماذا تقول جدتى ؟

وقالت پيدچ :

— وماذا تقول أمى ؟

وقالت أماليا :

– ليتنى ما فكرت فى الاختباء فوق هذا السطح ، وسار جميعهم إلى المنزل مسرعين .

وقف مستر أيرهارت فى غرفة المطبخ يضع على أنفه كمادة مبللة ، والجدة تعصر كمادة أخرى لتستبدل بها الأولى . قالت أماليا :

– لقد أصبته بجرح خطير ، فلماذا صفقت الباب فى وجهه ؟

قالت أماليا وهى تنتحب :

– إنى آسفة يا جدتى . فقد أصبته عفواً ، وما كنت لأوذى والدى . كنا نلعب لعبة الطلائع والهنود الحمر .

قالت الجدة مغضبة :

– طلائع وهنود ؟ ؟ ! أهذه لعبة تليق بالفتيات ؟ لابد أن يذهب أبوك إلى الطبيب فى الحال .

قال الأب :

– إن ميليا لم تكن تقصد شراً ، والجرح ليس خطيراً كما تتصورين ، فاطمئنى ، ولن يلبث النزيف أن ينقطع .

قالت الجدة وهى مازالت مغضبة :

– ولماذا تلعب مع بناتك طلائع وهنود ؟ أما كان أجدر بك أن تعلمهن سلوك الفتيات المهذبات ، ولا تشجعهن

على مثل هذا العبث الصبيانى ؟

وتناول مستر أيرهارت الكمادة النظيفة التى كانت تحملها، ووضعها على أنفه ، ثم قال :

— لقد كنتِ طليعة يوم جئت إلى كانساس ، وليس باستطاعة فتيات اليوم أن يفعلن ما فعلت ، فيعمرن أرضاً جديدة . ولكن ألا يحق لهن أن يكن طلائع فى ميادين جديدة لم يطرقها فتيات من قبل ؟

وزمجرت الجدة غاضبة ساخرة ، وانصرفت لتحضر زجاجة صبغة اليود ، فلما وصلت إلى الباب ، توقفت عنده لحظة ، وقالت لمستر أيرهارت :

— لو أن أماليا اتبعت سلوك السيدات المهذبات ، لا من تسميهن طليعة ، ما ازدان أنفك بهذا الجرح البليغ الذى سوف يترك أثراً يذكرك بما حدث اليوم على الدوام .

٦

چيمس الجبار وعربة البريد

دق الجرس ، فأسرعت أماليا إلى الباب الأمامى الكبير تستطلع الخبر ، فلما فتحته ، رأت موزع البريد يحمل صندوقاً كبيراً . سألها :

ـ أهنا تقطن الآنستان أماليا وموريل أيرهارت ؟

أجابت :

ـ نعم ، أنا ، أقصد نحن !

فقدم إليها قلماً ، وطلب إليها أن توقع على الإيصال الذى يحمله ، فكتبت بخط صغير جميل « أمليا أيرهارت » . واسترد موزع البريد الإيصال وأعطاها الصندوق الكبير ، وقال :

ـ تجدين أيضاً خطاباً مثبتاً على غطاء الصندوق .

فقالت وهى تغلق الباب :

ـ شكراً لك

ثم نادت :

ـ تعالى يا پيدچ . فقد أرسلت أمى إلينا صندوقاً من دى موان .

وجاءت پيدچ تجرى ، وقالت :

ـ أريد أن أقطع رباط الصندوق ، فانتظرى حتى أحضر مقصاً .

وأحضرت پيدچ مقصاً من درج جدها ، وقطعت به الرباط ، ثم تعاونت الاثنتان على فك اللفائف ، وأماليا فى حيرة مما قد يحتوى عليه الصندوق ، فلو كانت الهدية كتباً أرسلتها أمها ، لما كان وزنه خفيفاً هكذا .

وفتحت الصندوق فوجدت فى داخله ملابس زرقاء من نسيج الفانلة ، وعند ما رفعت أول قطعة منها ، أدركت ما هى ، فقالت فرحة :

ـ إنها سراويل يا پيدچ ، فما أجملها .

وأخذت پيدچ القطعة الثانية ، وقالت :

ـ وهذه قمصان تلبس مع السراويل .

وألقت نظرة على محتويات الصندوق وقالت :

ـ هنا طاقم لكل منا ، قميص وسروال .

وجذبت أماليا الخطاب المثبت فى الصندوق ، وفتحته وقرأت لأختها بصوت عال :

« هذه ملابس ترتديانها أثناء اللعب ، فقد سئمت كثرة ما تتلفن من ثياب ، فامرحا فيها كما يحلو لكما ، مع حب والدتكما . »

قالت پيدچ :

ـ ما أبدعها يا ميليا ، لن يطير الهواء أطراف ملابسنا بعد الآن . وقالت أماليا :

ـ ثم إننا نستطيع أن نقفز بها ونتسلق دون عناء ، فلنرتديها الآن يا پيدچ .

وحملت البنتان الصندوق والملابس وأسرعتا بها إلى حجرتهما .

عادت الجدة أوتس من سوق المدينة ، ودخلت البيت ومن خلفها سائق العربة يحمل ربطة كبيرة ، أخذتها منه ووضعتها فى خزانة البهو ، ثم خلعت قبعتها الصغيرة ، وعلقتها على المشجب . ثم نادت :

ـ ميليا . . . پيدچ . . . أين أنتما ؟

وهبطت الفتاتان السلم بعد لحظات ، وهما ترتديان السراويل والقمصان الجديدة ، فما أن رأتهما الجدة ، حتى فغرت فمها دهشة . قالت وقد بدت عليها علائم الغضب الشديد :

من أين جئتما بهذه الملابس ؟

أجابت أماليا :

ـ أرسلتهما أمى ، وتسلمناها الآن ، أليست جميلة ؟

قالت الجدة :

ـ لا ، ليست جميلة ، والفتيات لا يلبسن السراويل ،

وهبطت الفتاتان السلم وهما ترتديان السراويل ففغرت الجدة فمها دهشة وغضبا

وإنى أعجب كيف خطر لأمكما أن تبعث إليكما بمثل هذه الملابس العجيبة . إنه أمر لم يسبق له مثيل .

قالت أماليا :

ـ تقول أمى أنها كلت وسئمت من كثرة ما أتلفنا من ثياب ، فبعثت بهذه السراويل لنرتديها أثناء اللعب

قالت الجدة :

ـ طالما كانت لى كلمة فى تربيتكما فلن أسمح لكما بارتداء السراويل . إصعدا إلى غرفتكما ، واخلعا هذه الملابس ، وعودا إلى ثيابكما ومراولكما الأولى .

فطأطأت أماليا رأسها حزناً ، وتحسست بيدها السراويل الجديدة فى أسف ، فربتت پيدچ رأس أختها مواسية ، وصعدت الاثنتان والدموع تترقرق فى عيونهما .

قالت الجدة تصالحهما :

ـ إنى أراكما أجمل ما يكون فى ثياب البنات ، فلماذا تفسدان حسنكما وأناقتكما بمظاهر الصبيان .

فقالت أماليا :

ـ لسنا نريد أن نكون صبياناً ، ولكن ملابسنا تتعبنا وتعرقل حركتنا . إنى أحب الحلل الجميلة ، ولكنى أفضل أن أرتديها فى المحافل والاجتماعات .

قالت الجدة :

الثياب لا تعوق أحدا عن اللعب ، فأسرعا بتغيير هذه السراويل ، وعودا إلىّ ، فقد أحضرت لكما من المدينة هدية جميلة .

وصعدت الأختان السلم متباطئتين ، والدموع تترقرق فى عيونهما ، فلا تمنعها من التساقط سوى فكرة الهدية التى وعدتهما بها الجدة .

وبعد لحظة قصيرة عادت الفتاتان وكلتاهما ترتدى ثوباً له بنيقة بيضاء ، وأكمام طويلة ، وعليه مرولة حريرية هدبها مزركش ، وحزامهما معقود من الخلف على شكل فراشة كبيرة . وكانت جدائل الفتاتين تتدلى مزينة بأشرطة عريضة . قالت الجدة فى رضا واغتباط :

— هكذا تلبس الفتيات المهذبات . والآن إليكما الهدية.

وأخرجت اللفة الكبيرة من خزانة الردهة ، وفكت عنها اللفائف التى تغطيها ، فكانت فيها عربة صغيرة لدمية مصنوعة من القش المجدول . قالت الجدة :

— ألا تأخذا دميتيكما الآن للنزهة ؟

قالت پيدچ :

— شكراً يا جدتى .

وقالت أماليا :

– نعم . شكراً جزيلا يا جدتى .

وتناولت بيدچ دمية أجلستها فى العربة ، وخرجت الفتاتان من الباب الأمامى تدفعان العربة الصغيرة نحو الفناء الخلفى ، والجدة ترقبهما مغتبطة وتلوح بيدها مودعة . وعند ما احتواهما الفناء الخلفى ، قالت أماليا :

– ترى لماذا يريدون منا أن نصنع بهذه اللعبة ؟ أظنهم يريدون منا أن ندفعها وندور بها كما لو كنا سيدات صغيرات ، بشرط أن نحتفظ بنظافة ثيابنا ؟؟

فقالت بيدچ :

– فلنلعب لعبة العرائس .

قالت أماليا :

– ليس فيها تسلية تذكر.

قالت بيدچ :

– لا ليست مسلية .

قالت أماليا :

– أما من لعبة طيبة نستخدم فيها هذه العربة ؟ ليتنا كنا نرتدى سراويلنا الجديدة .

ونظرت إلى العربة مرة أخرى ثم قالت :

– هيا نلعب لعبة « عربة البريد » .

ونظرت بيدچ إلى عربة الدمية وهى تفكر فيما يحتمل

أن تصنعا بها ، وقالت :

– ولكن ليس لدينا حصان يجرها .

قالت أماليا :

– لدينا چيمس الجبار !

وما أن سمع الكلب اسمه ، حتى هبط من الشرفة الخلفية ، وذنبه يهتز فى سرور .

قالت پيدچ :

– وكيف تربطينه إلى العربة يا ميليا ؟

قالت :

– أمر سهل ، ففى المخزن حبال وأحزمة جلدية نستطيع أن نصنع له منها سرجاً مناسباً .

وأسرعت الفتاتان إلى المخزن تقلبان أكوام المخلفات التى علاها الغبار ، حتى وجدتا الحبل والأحزمة ، فعادتا بها بعد أن علقت برأسهما خيوط العناكب ، ولطخت الأقذار أيديهما ووجهيهما وملابسهما البيضاء ، ولكن واحدة منهما لم تلحظ ذلك لفرط حماستهما بالفكرة الجديدة .

ونظرت پيدچ إلى الحبال والأحزمة فى حيرة وقالت :

– كيف نصنع سرجاً من هذه الأشياء ؟

ولم تجبها أماليا ، فقد كانت مشغولة بوصل الحبال

بعضها ببعض ، وصنع عقد وحلقات . ومررت الأشرطة الجلدية فى العقد ، والحبال فى الحلقات ، كل هذا وبيدچ تراقبها دهشة متعجبة ، وچيمس الجبار يتأملها ساهماً .

قالت أماليا أخيراً :

— انظرى يا بيدچ ! هذه نضعها حول رأسه ، وهذا عنانه ، وهذه نشده بها إلى عربة الدمية ، أقصد عربة البريد .

وندت عن بيدچ آهة تعجب واغتباط .

قالت أماليا تكلم كلبها :

— تعالى يا جبار ، يا كلبى العزيز اللطيف . دعنى أسرجك .

ووقف چيمس الجبار أمامها هادئاً ، وتركها تسرجه وتشده إلى العربة ، وهكذا اكتملت اللعبة ، واستعدت عربة البريد للمسير .

قالت أماليا :

— سر يا جبار ، فالبريد يجب أن يسافر حالا !!

ونظر الجبار إلى أماليا فى دهشة ، ولم يتحرك أو يزمجر أو ينبح ، وبدل أن يجرى رقد على الأرض وتمرغ فى التراب .

فقالت بيدچ :

– لقد ذهب الأمل فى لعبتنا الجديدة، فإن الجبار لا يريد أن يلعب .

قالت أماليا :

– لا تيأسى بهذه السرعة يا پيدچ ، وثقى أن سيكون لنا عربة بريد ، فقط دعينى أفكر لحظة .

قالت پيدچ :

– ولكن الحصان يرفض السير .

قالت أماليا :

– إذهبى يا پيدچ إلى المطبخ ، وأحضرى العظمة التى تحتفظ بها ليلى بل لعشاء الجبار ، وسوف تجدينها على المائدة .

وذهبت پيدچ ، وتركت أماليا تعمل فى السرج ، والجبار راقد على الأرض كالقط الصغير لا يريد أن يتحرك من مكانه .

وعادت پيدچ تجرى ومعها العظمة المنشودة ، فقالت أماليا :

– انظرى يا پيدچ ما نفعله . . . سنربط هذه العظمة فى خيط تمسكينه ، وتجرين به أمام الجبار فيتبعك وراء رائحتها ، أما أنا فأقود عربة البريد .

وشم الجبار رائحة العظمة ، فقام من رقدته واستعد

للمسير . قالت أماليا :

— اجرى يا پيدچ ، إلى الأمام يا جبار .

وسارت عربة البريد وراء پيدچ التى كانت تجرى بأسرع ما تستطيع ، والهواء يعبث بجدائل شعرها . ومن خلفها كانت أماليا ممسكة بالعنان وهى تجرى مع العربة المندفعة وراء الكلب الكبير .

وقطعت عربة البريد رحلتها حول المنزل ، والجبار يجرى وينبح ، وأماليا تستحثه قائلة :

— إلى الأمام . . . إلى الأمام . . . إن البريد قد وصل .

وكانت تجرى ، فى صمت ، فلما وصل الركب أمام المنزل ، ضاعف الجبار جهوده ليصل إلى العظمة ، وعند ذلك انقطع حبل السرج ، وقفز الكلب على العظمة ، فسقطت پيدچ على الأرض ، وانقلبت عليها العربة ، وفوقهم جميعاً وقعت أماليا ، فكان كوماً من العجلات والكلب والعظمة والأشرطة المتطايرة فى الهواء ! !

وفتح الباب الأمامى ، وخرجت منه الجدة تستطلع الخبر ، فرأت هذا الخليط العجيب من أثر اللعبة ، وراعها أن ثياب الفتاتين قد تمزقت ، ولطخت القاذورات وجهيهما . وكانت الأشرطة الجميلة التى تزين جدائلهما

قد ذهبت ، وتحطمت عربة الدمية ، وطارت إحدى عجلاتها ! !

ورفعت الجدة يديها يائسة ، وقالت وهى تهز رأسها فى أسى :

ـ أرجو الا يكون قد أصابكما مكروه .

واستطردت قائلة :

ـ كانت أمكما على حق ، فاذهبا والبسا سراويلكما الجديدة ، فأنا أيضاً سئمت كثرة ما تتلفن من ثياب .

٧

مدينة الملاهى فى دى موان

قالت پيدچ ، وهى تهز كتف أختها لتوقظها :

— عيد ميلاد سعيد يا ميليا .

وفتحت أماليا عينيها الناعستين ، فوقع بصرها على الورود المطبوعة فى الورق الذى يكسو جدران الحجرة ، ولم تدرك لأول وهلة أين هى ، ولكنها لم تلبث أن تذكرت أنها وپيدچ مع أمهما وأبيهما فى مدينة دى موان .

وكان ذلك فى صيف عام ١٩٠٧ .

قفزت أماليا من فراشها ، وجرت عبر الغرفة نحو ملابسها ، التى رتبت فى عناية فوق مقعد قريب . قالت لپيدچ :

— فلنسرع بارتداء ملابسنا . ما أجمل حجرتنا هذه ؛ ألا تعجبك يا پيدچ ؟

قالت :

— إنها تعجبنى ، ولكنى أفتقد منظر النهر كما نراه من نافذة بيت جدتنا .

فقالت أماليا :

ـ ولكنا نجد كثيراً من المرح فى حياتنا مع أمى وأبى .

قالت پيدچ :

ـ وددت لو أن عمل أبى ، فى شركة الخطوط الحديدية ، لم يكن يتطلب منه كثرة التنقل .

وجلست على الأرض ترتدى حذاءها ، ثم قالت :

ـ أو ليتنا ما دخلنا المدرسة ، حتى يتسنى لنا أن نصحب أبى أينما ذهب .

وضحكت أماليا وقالت :

ـ وهذا ما أتمناه أيضاً .

ثم شرعت تغنى :

« لقد رحلت إلى الجنوب لأرى فتاتى
تغنى طول النهار پولى وولى دودل . »

قالت پيدچ :

ـ يبدو أنك سعيدة جداً .

فقالت :

ـ نعم ، فنحن مع أبى وأمى ، وهنا فى دى موان مدينة للملاهى سنذهب إليها ونستمتع بألعابها . وأجمل من هذا وذاك ، أن اليوم عيد ميلادى ، وأننى بلغت العاشرة من عمرى ! »

دارت لعبة الخيول الخشبية مرة بعد مرة ، وخيولها تهبط وترتفع ، وأماليا وپيدچ تلوحان لأبيهما كلما مرت به الخيول فى كل دورة ، وكان يقف أمام نافذة التذاكر فى انتظارهما . قال منادياً :

— هذا دوركما الأخير ، فهيا بنا نشاهد الطائرة الجديدة ، لأننا لم نرها من قبل .

قالت أماليا تستعطفه :

— إن اليوم عيد ميلادى ، فاسمح لنا بدور آخر يا أبى .

قال وهو يقودها وسط جموع الناس :

— ليس الآن ، ويجب أن نسرع لمشاهدة الطائرة قبل أن تمطر السماء .

وفجأة وقفت أماليا فى مكانها ، وهتفت به قائلة :

— أبى ، انظر خيول السيسى ، دعنا نركبها ، فقد لا نجدها عند عودتنا .

وتنهد مستر أيرهارت وقال :

— ولكنى أود أن تشاهدا الطائرة ، إنها اختراع جديد عجيب يرجع إلى خمس سنوات فقط ؛ وقد طارت أول طائرة إذ ذاك فى ولاية كارولينا الشمالية وكان قد اخترعها أورفيل ويلبور رايت .

قالت أماليا بصبر :

ـ أنت على حق يا أبى ، ولكن هذا السيسى حقيقى حى والأطفال تركبه .

وقالت پيدچ :

ـ أرجوك يا أبى ، وتذكر أن اليوم عيد ميلاد ميليا .

واستسلم الأب لرغبة بنتيه ، وتبعهما إلى حلقة الخيول الصغيرة ، واشترى لهما تذكرتين .

وركبت أماليا وپيدچ حصانين صغيرين متعبين ، وسارتا بهما حول الحلقة القذرة . واستحثت أماليا حصانها ولكزته فى ضلوعه بكعبيها ، فسار بها خبباً وهى تهتز فوقه وفى أعقابها پيدچ . وسرعان ما عادتا إلى نقطة الابتداء ، وقالت أماليا :

ـ ألا يمكننا أن نركب دوراً آخر ، فالفروسية ممتعة جداً !

قال الأب فى لهجة حازمة :

ـ بل نذهب لنشاهد الطائرة .

ونزلت أماليا وپيدچ عن صهوة الحصانين ، وأمسكتا بيدى أبيهما ، وسارتا معه تنظران إلى ما تحويه مدينة الملاهى من طرائف وعجائب . ووصل ثلاثتهم إلى حقل يحيط

به حاجز من السلك ، وراءه حاجز آخر من الخشب ، وعلى باب الحقل علقت لوحة كبيرة ، كتب فيها « الطائرة المحلقة » . ووقفت أماليا مرة أخرى وقالت :

— انظر إلى قبعات الورق هذه ، أليست جميلة يا أبى ؟ وهل نستطيع أن نأخذ إحداها ؟

وقالت پيدچ بدورها :

— نعم يا أبى أرجوك .

قال :

— إذا وعدتمانى بالذهاب دون تأخير لنشاهد الطائرة ، أبتاع قبعة لكل منكما .

وجربت أماليا وپيدچ قبعة بعد أخرى ، وكانت القبعات مصنوعة على شكل دوائر صغيرة مسطحة ، تزينها ورود من الورق ، ويتدلى منها شريط حريرى يوضع تحت الذقن . وكانت كلها زاهية الألوان جملية الشكل من الصعب تفضيل إحداها على الأخريات .

قالت أماليا وهى تجرب واحدة :

— هذه القبعة جميلة يا پيدچ ، ولكنى أفضل اللون الأزرق .

فالت پيدچ وهى تقدم لأماليا قبعة زرقاء تبدو كأنها سلة مقلوبة :

ـ أعتقد أن هذه تناسبك .

فقال الأب :

ـ خذيها يا ميليا ، ولا تعطلينا أكثر من ذلك وإلا فاتتنا رؤية الطائرة ، أما أنت يا پيدچ فخذى القبعة التى ترتدينها .

ولبست الفتاتان القبعتين ، ورفعت أماليا بصرها إلى السماء لأول مرة .

فقال الأب بعد أن دفع ثمن القبعتين مسرعاً ، واتجه بهما إلى ميدان الطيران .

ـ هيا بنا يا بنتى . وأسرعا فى المسير .

فقالت أماليا :

ـ إن السماء ستمطر يا أبى ، أفلا نحتمى بهذه الخيمة حتى لا تتلف قبعاتنا الحديدة ؟

قال الأب :

ـ بل نذهب لمشاهدة الطائرة ، فإنى أريد رؤيتها حتى لو لم تريدا ذلك .

ولم تجد أماليا ما تقول ، فنظرت إلى السماء مرة أخرى ، ومدت يدها لترى إذا كانت قطرات المطر قد بدأت فى السقوط أم لا ، ثم ربتت على قبعتها بحنان وتبعت أباها إلى حقل الطيران .

وكان فى وسط الحقل جسم غريب ، صنع من الخشب والأسلاك ، وكان لهذا الجسم جناحان ، أحدهما فوق الآخر ، وفى وسطه مقعد صغير قبع فيه رجل كما يقبع الطير على فرع الشجرة . وكان الرجل يضع قدميه على قضيب يشبه مقدم زحافة الجليد ؛ أما ذيل الطائرة فكان يبدو كالصندوق الطائر الذى يلهو به الأطفال . وكان المحرك خلف الرجل الجالس على المقعد الصغير ، ودفع مساعد الطيار المروحة ، فبدأ المحرك يعمل فى صوت عال متقطع .

قال الأب متحمساً :

— انظرا كيف تطير الآن يا بنتى .

ودرجت الطائرة على عجلاتها الصغيرة ، وسارت على الأرض بطيئة ، ثم بدأت ترتفع فى الهواء ، قال ، وهو يرقب الطائرة باهتمام :

— انظرا كيف تطير رغم أنها أثقل من الهواء ، إنه اختراع مدهش .

وارتفعت الطائرة فى الهواء ، وصوت محركها يدوى عالياً واضحاً ، فنسيت أماليا قبعتها ، وجعلت ترقب باهتمام الطائرة وهى تحلق فى السماء كأنها طائر عجيب .

قالت پيدج :

— ليتنى كنت رجلا لأطير بهذه الطائرة .

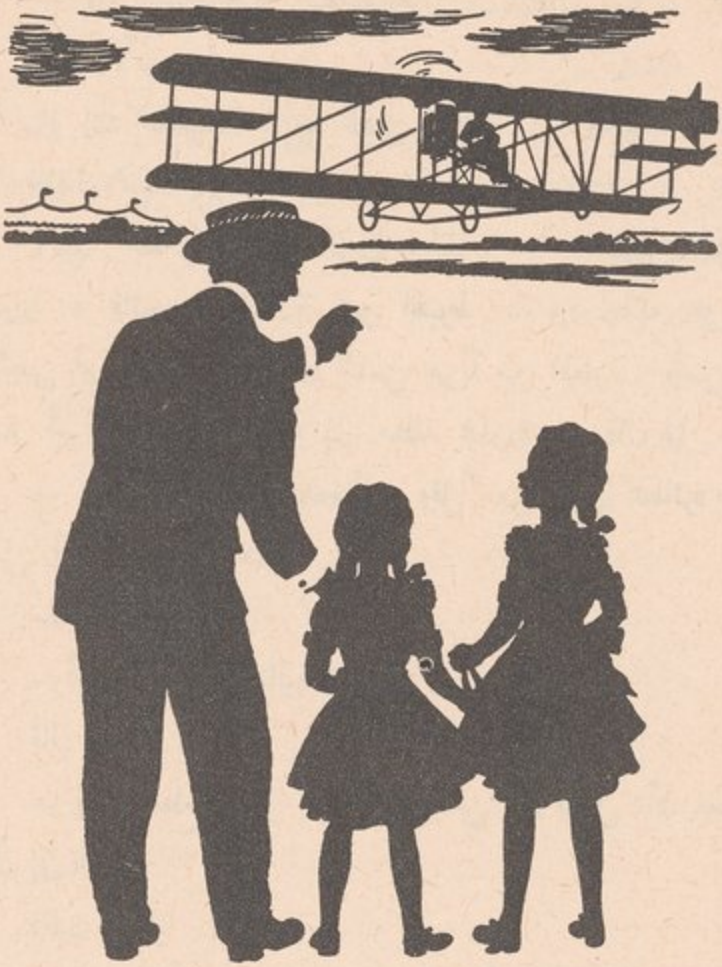

أنظرا كيف تطير الآن يا بنتى

فقالت أماليا :

— وما الذى يمنع البنات من أن يطرن بها ؟

قال الأب :

— إن الطائرة اختراع علمى عظيم ، ولكنى أعتقد ألا فائدة عملية تعود منه .

وبينما الطائرة تحلق فوق الحقل ، انهمر المطر مدرارا ، فاتجهت الطائرة نحو الهبوط ، ودرجت على الأرض ثم وقفت . وتفرق الناس هرباً من المطر ، وأسرع مستر أير هارت مع ابنتيه إلى مظلة مجاورة . قال لهما :

— لقد رأيتما اليوم عجباً . وقلّ من رأى الطائرة ، فأملى أن تتذكراها دائماً .

سألته أماليا :

— أتطير اليوم مرة ثانية ؟

قال :

— إذا انقطع المطر ، ولكن من الأفضل أن نعود الآن إلى البيت .

قالت أماليا :

— دعنا نبقى لنراها تطير ثانية . أسمعت كيف يطن محركها ؟ وهل رأيت كيف تشبه أجنحتها أجنحة الطائر ؟

فنظر إليها أبوها . متعجباً وقال :

ـ أتعجبك الآن وقد كنت تفضلين عليها منذ لحظة ركوب السيسى أو شراء قبعة من الورق ؟

قالت :

ـ لم أكن أعرف شيئاً عن الطائرات ، ولا أعلم كم هى مثيرة ، وإنى أفضل رؤيتها على كل ما فى مدينة الملاهى .

٨

أماليا تذهب للاستكشاف

أعادت أماليا الثعبان الصغير إلى قفصه فخورة بإضافته إلى ذلك المتحف الذى أنشأته عند حافة الشرفة الخلفية بمنزل الجدة أوتيس فى مدينة أتشيسون ، وكانت قد اختارت قاعدة النافذة مكاناً لمتحفها ، وفرشتها بحصى ملون ، ووضعت عليها ضفدعاً كبيراً وجرادتين فى صندوق ، ثم عنكبوتاً أحمر فى زجاجة .

وكانت أماليا فى تلك اللحظة تقف أمام متحفها فخورة ، وحولها توتى وكاتشى بنتا خالتها وچنچر پاركس زميلتها فى المدرسة ، وعندئذ أقبلت عليهما پيدچ تسحب أمها من يدها وتقول :

— انظرى يا أمى لقد وجدت أماليا ثعباناً فأضافته إلى متحفها .

ونظرت الأم إلى الثعبان متأملة ، فقالت لها أماليا :

— أتحبين أن تمسكى به قليلا يا أماه ، إنه شرس ولكنه غير مؤذ .

قالت الأم :

ـ لا يا عزيزتى ، شكراً . إنى أفضل أن أنظر إليه من بعيد .

قالت أماليا :

ـ ترى أتسمحين لى أن أنقل متحفى إلى داخل البيت ، فنحن على أبواب الشتاء وبدأ الجو يبرد بالليل ثم إن نافذة حجرة الجلوس واسعة كبيرة .

قالت الأم :

ـ بل أفضل يا ميليا أن تبقيه فى مكانه هذا ، فهذه الأحياء تكون أسعد حالا فى الهواء الطلق ، وباستطاعتها أن تعود إلى أوكارها حالا إذا هربت من سجونها .

وعادت الأم إلى البيت مبتسمة ، فقالت چنچر :

ـ دعونا نلعب لعبة ما ، فأنا لا أحب هذا الثعبان العجوز .

قالت أماليا :

ـ ما رأيكم أن نذهب إلى مخزن الغلال ، ونلعب فيه لعبة « السفر » .

سألتها چنچر :

ـ وكيف تكون هذه اللعبة ؟

قالت كاتشى :

– إنها مسلية جداً ، وقد اختارت لها ميليا هذا الاسم الطريف .

وقالت پيدچ :

– هيا بنا إلى المخزن نلعبها .

وقالت توتى تؤيدها :

– نعم ، نحن نلعبها كثيراً .

وهبطت أماليا السلم جرياً وهى تنادى قائلة :

– سأتقدمكن إلى مخزن الغلال .

وتدافعت الفتيات الأربع خلفها إلى المخزن ، وفتحن بابه الكبير ، وأسرعن إلى العربة القديمة التى كان الجد ما زال يحتفظ بها ، رغم أنه باع خيولها من زمن . وتسلقت الفتيات جوانب العربة وجلسن على مقاعدها المغبرة

– سألت چنچر :

– ماذا نفعل الآن ؟

قالت توتى ، تفسر لها اللعبة :

– نسافر بها .

وصرخت پيدچ :

– هناك هندى أحمر ! ! طاخ ... طاخ ... طاخ .... لقد قتلته ! !

فاستفسرت منها توتى :

ـ أما زال اللصوص أمامنا ؟

قالت كاتشى :

ـ نعم ، إنهم يرسمون خطة ليستولوا على عربة البريد ، ولقد أعدوا لنا كميناً فى طريقنا .

وقالت پيدچ :

ـ عليكم بالبنادق ، فلا بد لنا من القتال .

وفهمت چنچر اللعبة الجديدة ، فقالت وقد اندمجت فيها :

ـ قودا العربة بسرعة .

ولاحظت توتى أن أماليا لا تشاركهن فى اللعب ، فقالت لها :

ـ ماذا بك يا ميليا ، ألا تلعبين معنا

قالت :

ـ لقد سئمت لعبة الهنود الحمر لكثرة ما لعبناها ، فلنجرب فكرة جديدة ونسافر بالعربة إلى واشنجطون مثلا .

فسألها پيدچ :

ـ وماذا نفعل فى واشنجطون ؟

قالت أماليا :

ـ إنها عاصمة بلادنا وفيها نرى أشياء كثيرة .

قالت چنچر :

ـ نعم ، فيها أشياء كثيرة حدثتنا عنها مس هول فى المدرسة .

قالت أماليا وهى تتصور أنها حقيقة وصلت إلى واشنجطون :

ـ هذا مبنى الكابيتول ، وهذه قبته الكبيرة .

وأضافت توتى قائلة :

ـ هاكم معهد سميثسون الذى قالت مس هول إنه يضم حيوانات كثيرة .

قالت پيدچ :

ـ وهل يمكننا أن نصطاد هذه الحيوانات ؟

ـ كلا أيتها البلهاء ، فإنها حيوانات محنطة ، وقد جئنا إلى العاصمة نشاهد معالمها لا نصيد فيها .

قالت پيدچ :

ـ إنى أفضل اصطياد الهنود الحمر .

وأشارت چنچر أمامها وقالت :

ـ هاكم البيت الأبيض مقر رئيس الولايات المتحدة .

قالت أماليا :

ـ ما رأيكم أن نقف هنا وندخل البيت الأبيض لتناول العشاء مع الرئيس ؟

وأطاعت پيدچ رغبة أختها ، فجذبت أعنة الخيول الوهمية ، وأمرتها بالوقوف . قالت توتى :

ـ لا تكونى مجنونة يا ميليا ، فليس الأمر سهلا

كما تتصورين ، والناس لا يدخلون على الرئيس دون دعوة .

وقالت چنچر :

– بل لن يسمح الحرس لنا حتى بالدخول من الباب الأمامى .

قالت أماليا تقنعهما :

– لو كنا كباراً لأمكننا أن نتناول العشاء مع الرئيس .

فأجابتها توتى فى صراحة :

– لك أحياناً آراء سخيفة يا ميليا ، لن يتاح لك رؤية الرئيس يوماً من الأيام .

وقالت چنچر :

– إنه رجل عظيم ومشاغله كثيرة ، ولا ينتظر أن يضيع وقته مع مثيلاتك .

قالت أماليا فى عناد :

– ربما استطعت أن أقابله ذات يوم ، فإن جدتى تصرح بأنى أتقن آداب المائدة .

قالت توتى :

– ليست آداب المائدة كل شىء ، فهناك ما هو أهم منها كثيراً كى تكونى أهلا لمقابلة الرئيس .

وقالت پيدچ :

ـ كفانا ما شاهدنا من معالم واشنجطون ، فدعونا نرجع إلى لعبة الطلائع ونطلق الرصاص على الهنود الحمر .

وقالت كاتشى :

ـ نعم كفانا ، فلعبة السفر هذه أشبه ما يكون بالدروس التى نأخذها فى المدرسة .

وأحزن أماليا ألا تلاقى اليوم لعبتها النجاح المعتاد فقالت :

ـ لقد أرانا أبى فى الصيف الماضى طائرة فى مدينة الملاهى فلم لا نتخيل أنها تحملنا فى أجواء الفضاء ، وربما استطعنا أن نسافر بها إلى إنجلترا ؟

فضحكت الفتيات ساخرات من هذه الفكرة السخيفة ، فلقد كان معروفاً أن الطائرة لاتستطيع أن تعبر المحيطات .

قالت پيدچ تعاود استعطافها :

ـ دعونا نلعب « الطلائع والهنود الحمر » فهى أكثر الألعاب متعة وتسلية .

قالت أماليا :

ـ ألم يذكر أبى أنه ما زالت هناك ميادين كثيرة للبطولة ، ولن يطول الزمن حتى يكون لميدان الطيران طلائع أيضاً ؟

قالت چنچر :

ـ لن تكونى واحدة منهن ، فالبنات لا يقدرن على قيادة الطائرة .

قالت أماليا :

ـ بل البنات يقدرن على كل ما يقدر عليه الفتيان ، ولقد سئمت كثرة ما قيل لى أنى فتاة لا أستطيع أن أعمل هذا أو ذاك .

وتملكها الغضب إذ ذاك ، وضاق صدرها بلعبة السفر ، كما ضاق صدرها أيضاً بضحك الفتيان منها ، وكثرة ما قيل لها إنها لا تقدر على عمل شىء . إنها حقيقة فتاة ، ولكن ما العيب فى ذلك ؟

قالت :

ـ ألست أدق المسامير كما يدقها چاريد فوكس ؟ ألست أضرب الكرة كما يضربها بايلى واجونار ؟ أليس فى متحفى مجموعة لا يملك مثلها صبى فى فصلى ؟ أما أنتن فلا تعرفن غير الألعاب السخيفة الخيالية . ولقد سئمت اللعب معكن أيتها الفتيات . سأقوم الآن بمخاطرة حقيقية ، ولكنى سأقوم بها وحدى .

وهبطت أماليا من العربة غاضبة ، وخرجت من المخزن لا تلوى على شىء .

سارت أماليا ، والغضب يملؤها ، خلف مخزن الغلال متجهة إلى الجرف العالى للنهر . وكانت لفرط غيظها تضرب بقدميها أوراق الأشجار المتساقطة على الأرض . وعند ما وصلت

إلى حافة الجرف ، وقفت فى مكانها تنظر إلى نهر ميسورى الغائر بين ضفتيه العاليتين ، تحف به أشجار ذات أزهار حمراء وصفراء ، كساها هواء الخريف بغلالة زرقاء ، فكان منظراً فريداً فى جماله وروعته .

وكان بودها إذ ذاك أن تهبط المنحدر العالى من الممر الضيق الموصل إلى النهر ، ولكنها ترددت إطاعة لأوامر جديها الذين حرما عليها وأختها النزول إلى النهر ودخول المغارات المنتشرة على جانبيه فى الجرف ، خوفاً من أن يتعرضا للغرق أو يصيبهما أذى . وتذكرت أن كل هذه المحرمات مسموح بها للصبيان ، أما البنات فلا ، وليس هذا عدلا أو مساواة .

لقد قالت للبنات منذ لحظات قصيرة ، إنها ستقوم بمخاطرة حقيقية ، وكانت هذه البقعة خير مكان تبدأ منه مخاطرتها . فلتقدم إذاً مهما كان العقاب الذى ينتظرها .

وشبرعت تهبط الممر الصغير إلى النهر ، وعند منتصف المنحدر رأت على باب كهف صغير لافتة كتب فيها بالأحرف الكبيرة « احترس » . قالت تحدث نفسها : «ها قد بدأت المخاطرة ترى ماذا يحوى الكهف ؟ ومن وضع هذه اللافتة » ؟

ومشت بين الأعشاب والأشجار الصغيرة إلى الكهف ، حتى وصلت إليه فدخلته .

كان كهفاً صغيراً ، عند فتحته صخرتان كبيرتان ، رأت

بينهما آثار نيران قديمة ، فتساءلت عمن كان يعسكر فيه ، أهو أفاق ؟ ولكنه كان فى تلك الآونة خالياً من الناس ، ولم يكن فيه ما يؤذى أو يثير ، فما الداعى إلى وضع التحذير على اللافتة ؟

وخرجت من الكهف تستأنف هبوط المنحدر إلى النهر ، فلفت نظرها جسم صغير يتحرك . وعند ما تأملتها عن قرب وجدت أنها فراشة كبيرة ، فزحفت إليها بهدوء واحتراس ، حتى أمسكت بها . وكانت فراشة جميلة من فراشات « لونا » ذات الأجنحة الخضراء الباهتة ، فاغتبطت بها تحفة جديدة تضيفها إلى متحفها .

كانت هذه أول مرة ترى فيها فراشة حية من هذا النوع ، فاغتبطت بهذا الكنز الذى لا يملك مثله أحد فى المدرسة ، اللهم إلا الصبى بايلى ، وكانت فراشته ميتة محنطة .

ووقفت برهة تفحص الفراشة بسرور وإعجاب ، ثم شرعت تنزل الممر لاتمام رحلتها ، ولكن قدمها تعثرت فى الحصى ، فسقطت على الأرض تتدحرج منحدرة نحو النهر . وأطبقت بيدها على الفراشة تحميها ، وبذلت جهدها لتوقف تدحرجها ، ولكن الأرض المنحدرة الزلقة لم تمكنها من ذلك .

وحاولت مراراً أن تثبت قدمها فى الأرض ، فأبطأت هذه الحركة من قوة اندفاعها ، حتى رأت نفسها تتجه صوب

مجموعة من الأعشاب القصيرة . فقالت « ربما أوقفت هذه الأعشاب سقوطى » .

وسرها أن تحققت نبوءتها ، فأوقفت الأعشاب انحدارها ، ولم يصبها من سقطتها سوى خدوش بسيطة .

ونهضت باحتراس ، وفحصت الفراشة فحصاً دقيقاً ، فوجدت أنها لحسن الحظ سليمة ، فقالت وهى تتلفت حولها « لقد تدحرجت أكثر من نصف المنحدر ، وها أنا ذا أجد كهفاً آخر يكاد يختفى وراء الشجيرات » .

وشقت طريقها إلى الكهف بين الأشجار ، واقتحمته غير مترددة ، فرأته كبيراً عميقاً ، ينبعث من جوفه خرير ماء . قالت « هنا نبع من غير شك »

واعتادت عيناها عتمة الكهف بعد قليل ، فاستبان لها النبع ، فلما ركعت بجانبه تعبث بمياهه وتتحسس جوانبه اصطدمت يدها بحجر صغير يتحرك فى مكانه فخلعته وخرجت به إلى النور تفحصه . وكم كان سرورها عظيما عند ما تبينت أنه رأس سهم من سهام الهنود الحمر ! !

قالت فى نفسها « أيتشدقون بمخاطرات الصبيان ، وما من صبى خاطر مثلى ؟ أراهن أن چاريد وبايلى يتمنيان لو كانا معى فى هذه المخاطرة » .

ووضعت اماليا راس السهم فى جيبها بعناية ، وتأملت

الفراشة التى قبعت فى يدها الأخرى ساكنة ، ثم أخرجت منديلا لفتها فيه وأودعتها هى الأخرى جيبها .

وسمعت دبيب أقدام تقترب من الممر ، فارتدت إلى الكهف تحتمى به ، ولكن جاء ذلك بعد فوات الأوان ، فقد رآها ابن خالتها چاك تشاليس الأخ الأكبر لتوتى وكاتشى . قال لها :

ـ ماذا تفعلين هنا ؟ ألا تعلمين أنهم يبحثون عنك منذ ساعة على الأقل .

قالت وهى تتظاهر بالهدوء :

ـ إنى استكشف .

فقال ها :

ـ ألا تعلمين أنه محظور عليك النزول إلى النهر ؟ سيرى معى حالا إلى البيت .

قالت :

ـ فى مقدورى أن أعود وحدى .

ولكنها بدأت تصعد المنحدر متخاذلة . وقال چاك وهو يضحك منها :

ـ ماذا تعرفين عن رحلات الاستكشاف ؟ إن مكانك فى البيت مع الفتيات .

قالت :

ـ ولكنى أمسكت فراشة نادرة من نوع « لونا » ووجدت

شيئاً آخر ثميناً ، انظر !

ودست يدها فى جيبها وأخرجت منه رأس السهم وقالت :

ــ وفوق ذلك كشفت كهفاً به نبع ماء .

قال :

ــ كنت حسنة الحظ ، ولكنك ستعودين معى الآن إلى البيت .

قالت وهى تتسلق المنحدر :

ــ هناك لافتة للتحذير ، فهل وضعها واحد من الأفاقين ؟

قال ساخراً :

ــ بل وضعها بعض الفتيان للمتطفلين مثلك ، فهل أفزعتك؟

قالت :

ــ لم تفزعنى اللافتة مطلقاً بدليل أننى أمسكت الفراشة بالقرب منها .

قال :

ــ أنصحك أن تحترسى فى المرة القادمة ، وسوف تلقين جزاءك عند ما تصلين إلى البيت .

قالت غاضبة :

ــ كفاك ثرثرة .

قال :

ــ لست أثرثر ، إنما كنت أبحث عنك ، وأنا ابن خالتك

ولا أحب أن يصيبك مكروه .

ولم تجبه أماليا ، فقد كانت تعلم أنه على حق ، وكانت تخشى مواجهة أمها وجديها .

قال جاك :

— ها هى ذى يا جدتى ، وقد عبرت عليها فى كهف مهجور وسط المنحدر القائم على حافة النهر .

قالت الجدة أوتيس :

— ألا تعلمين يا أماليا أيرهارت أنه محظور عليك الذهاب إلى تلك البقعة ؟

قالت :

— أعلم يا جدتى ، ولكن البنات عيرننى بأنى فتاة لاأستطع أن أفعل ما يفعله الصبيان ، فاغتظت وجن جنونى ، وذهبت لأثبت لهن مقدرتى .

وأقبلت أمها ومن خلفها الجد أوتيس ، وتطلع الاثنان إليها فى صرامة . قالت الأم :

— هناك أوامر يجب عليك إطاعتها حرصاً على سلامتك ، ولما كان والدك غائباً ، فانى أترك لجدك مهمة تأديبك .

قال الجد :

— تعالى يا ميليا ، لقد ربيت والدتك على الحكمة القائلة « من ترك عصاه أفسد طفله » ، واظنك فى حاجة إلى هذه الحكمة ، فهيا بنا نحضر عصا من كومة الأخشاب.

٩

أسبوع عيد الميلاد فى بيت الجدة أوتيس

كانت نيران المدفأة تتقد متوهجة ، وترسل ضوء ورديا ينير حجرة الجلوس الكبيرة فى بيت أوتيس ، وبينما كانت رياح شهر ديسمبر الباردة تهز النوافذ ، كان الجد أوتيس بجوار النيران مرة يقف على أطراف قدميه ومرة أخرى على كعبيه ، فينبعث من حذائه الأسود الطويل صرير لطيف .

قالت أماليا فى نفسها « إنه صوت هادىء مريح » ثم قامت من مقعدها الرحب ووضعت كتابها جانباً ، ووقفت بجانب جدها قرب النيران ، فكادت رأسها تحاذى كتفه . وشرعت تقلده فى وقفته فتأرجح جسمها مثلما يؤرجح جسمه : مرة تقف على أطراف قدميها ، ومرة أخرى على كعبيها فينبعث من حذائها صرير خافت . قالت :

— بت أعتقد أن عيد الميلاد لن يأتى :

فابتسم جدها وقال :

— لم يبق سوى أسبوع إلى اليوم الموعود ، يسرنى أن زايلك البرد الذى أصابك ، واستعدت صحتك

وتطلعت أماليا إلى الحجرة الجميلة من حولها ، وشمت رائحة الخبز الطازج التى تنبعث من المطبخ فتملأ أرجاء البيت . وشرعت تغنى أغنية صغيرة ، وهى ما تزال تؤرجح جسمها بالوقوف مرة على أطراف قدميها ومرة أخرى على كعبيها :

« صرّى ، صرّى ، صرّى فرحاً بالخير الكثير
صرى ، صرى ، صرى فرحاً بالخير الكثير . »

قال لها الجد باسماً :

ـ هل أجبت خطاب أبيك ؟ فانى أرى أن تخبريه عما تحبين أن يهاديك به فى عيد الميلاد .

قالت :

ـ كنت أفكر فيما أحب أن أطلبه منه ، وأظن أن خير هدية . . . هذا جرس الباب يدق ، فلا شك أن البنات قد عدن بخضرة عيد الميلاد .

وأسرعت إلى الباب جرياً ، وأدخلت توتى وكاتشى وپيدچ .

قالت پيدچ وهى ترفع فى يدها أكليلا أخضر جميلا :

ـ انظرى يا ميليا إلى العقد الكبير وثمار الصنوبر الصغيرة .

ووضعت توتى وكاتشى ما تحملان من فروع الأشجار وعقود الصنوبر ، ثم خلعتا قبعتيهما ومعطفيهما التى غطتها الثلوج .

قالت پيدچ :

ـ أحب أن ترى جدتى هذا العقد الأخضر ، قبل أن

أعلقه على الباب .

وقالت توتى :

ـ قد أحضرنا ذرة لنشويها وخيوطاً نربط بها شجرة العيد .

وقالت كاتشى :

ـ وكذلك أحضرنا عناباً نزين به شجرتكم وشجرتنا .

قالت أماليا :

ـ ليتنى ذهبت معكم . ولكن جدتى منعتنى رغم أننى شفيت تماماً ، ولم يعد بى أثر للبرد الذى كنت أعانيه .

وقالت توتى :

ـ انظر ما اشترينا يا جدى ؟

وقالت أماليا :

ـ يا لبهجة عيد الميلاد ، فبعضنا سيشوى الذرة ، وسيشغل بعضنا الآخر بجدل عقود من العناب البرى .

ونادت الجدة من غرفة المطبخ :

ـ ميليا . . أحضرى الجبار إلىّ .

قالت أماليا وهى تقود الكلب إلى جدتها :

أنا وكلبى نحب رائحة طهيك يا جدتى .

قالت الجدة :

ـ يقف الجبار فى أعقابى كما يقف المهر الصغير . يا للعقد الأخضر الجميل ! ! أعرف أن أمامكن برنامجاً حافلا

للمساء ، فإذا انتهيتن منه مبكرات ، فأتين لمساعدتى فى عمل فطائر العيد .

قالت أماليا للفتيات :

ــ أعمالنا اليوم عامرة بالمتعة والتسلية ، ومن العسير أن نختار منها ما نبدأ به .

وسكتت برهة ثم أردفت :

ــ عليكن بشىّ الذرة ، وجدل عقود العناب ، وسأترككن لحظة ، لأؤدى عملا هاماً كاد يغيب عن بالى .

واتجهت أماليا إلى مكتب جدها ، فأخرجت منه ورقة وقلماً ، جعلت تعض على طرفه مفكرة ، ثم كتبت لأبيها الخطاب التالى :

١٨ ديسمبر ١٩٠٨

أبى العزيز

لقد أوشك عيد الميلاد أن يحل ، وقرب موعد حضورك إلينا مع أمى ، والبيت عامر بالخير ، والديك الرومى فى مخزن الغلال يأكل كثيراً فيزيد وزنه يوماً بعد يوم ، وبيدج وتوتى وكاتشى يجدلن عقوداً من العناب البرى ويشوين الذرة ليزين بها شجرة عيد الميلاد .

كنت قد سألتنى عما أريد بمناسبة العيد ، وبعد أن فكرت طويلا ، وجدت أن لدىّ كرات ومضارب كثيرة للعبة البيزبول ،

أما ما ينقصنى حقاً فكرة قدم .

مع حبى
أماليا

وطوت أماليا الخطاب ، ووضعته فى مظروف ، ألصقت فتحته جيداً ، ثم كتبت عليه العنوان ، وقالت فى نفسها : « سوف أسلمه فى هذه اللحظة إلى ساعى البريد ، وقد لا توافق جدتى على كرة القدم ، ولكن أبى سيقدر رغبتى حق قدرها . »

١٠

يوم عيد الميلاد

دخلت أماليا حجرة والديها وقالت :

– عيد سعيد ! عيد سعيد !

ورددت پيدچ معها :

– عيد سعيد .

وكانت عتمة الصباح المبكر تملأ الغرفة ، وبرودة ديسمبر القاسية تتنشر فى جنباتها .

قالت أماليا وهى تسرع نحو المدفأة :

– جئنا نأخذ جواربنا المليئة بالهدايا .

وحلت رباط الجورب القطنى الأسود وتحسست ما فيه وقالت :

– انظرى يا پيدچ ، إن جوربى عامر بالهدايا .

ولم تجبها پيدچ ، فقد كانت بدورها مشغولة بفحص جوربها .

قالت الأم وما زال النعاس يداعب أجفانها :

– إن النهار لم يطلع بعد ، كان يجب أن تظلا بغرفتكما

حتى نشعل النيران وندفئ البيت .

قالت أماليا :

– أعلم ذلك يا أمى ، ولكن اليوم عيد .

وقال الأب :

– عودا إلى فراشكما ، وخذا معكما الجوربين ، ولا تغادرا الفراش قبل السابعة والنصف فإن البيت يكون إذ ذاك دافئاً.

وتثاءب الأب واستدار وقد أغمض عينيه مرة أخرى .

وقالت الأم :

– أسرعا إلى الفراش وإلا آذاكما البرد ، وعلى كل حال لن يتاح لكما مشاهدة شجرة العيد قبل الإفطار .

ورقدت الأم ، وسحبت الأغطية فوق جسمها .

وعادت أماليا وپيدچ إلى حجرتهما ، وقالت پيدچ :

– أشعر بالبرد يا ميليا ، فهل تشعرين به كذلك ؟

أجابت أماليا :

– نعم ، ولكن ... آه ...هذه موزة فى جوربى ، فهل عندك مثلها ؟

قالت پيدچ :

– نعم ، وعندى أيضاً برتقالة . انظرى يا ميليا هذه الربطة الصغيرة .

قالت أماليا :

— فى جوربى ربطة مثلها .

وفتحت الفتاتان الربطتين الصغيرتين ، وقالت ميليا وهى تخرج من ربطتها شريطين عريضين من الحرير :

— أربطة جديدة لشعرى .

قالت پيدچ :

— وأنا أيضاً فما لون أشرطتك ؟

وأمعنت أماليا النظر تتبين الألوان فى الضوء الخافت ، ثم قالت :

— مقلم ، وأحمر زاهى .

قالت پيدچ :

— أما أنا فعندى مقلم وأزرق ، وتعتقد أمى أن الأزرق يليق بالشقراوات ، وأنا لست شقراء ، فأخشى أن يكون سانتا كلوز قد أخطأ عند وضع الأشرطة .

قالت أماليا :

— ربما كان ذلك ، فالأحمر يلائم لون شعرك وعينيك الداكنتين .

قالت پيدچ :

— دعينا نتبادل أشرطتنا .

قالت :

— لا ، سأحتفظ بالأحمر لأجربه على سبيل التغيير .

ثم مدت يدها داخل الجورب تتحسس ما بقى فيه ، وقالت :

– حلوى ، وجوز ، وفطائر ، وتفاح .

قالت پيدچ ووجهها يطفح بشراً :

– كم أنا سعيدة بالعيد ، ليته يأتى كل أسبوع .

فقالت أماليا وهى تقضم تفاحتها الحمراء اللامعة :

– ترى ماذا نجد تحت شجرة العيد ؟ ؟ أرجو أن يكون أبى قد تسلم خطابى فى الوقت المناسب .

قالت پيدچ وهى تنزع القشر عن موزتها :

– ما أبطأ مرور الوقت ، متى تجىء الساعة السابعة والنصف ؟

قال الأب :

– مهلا ، فقد كدنا ننتهى من الإفطار ، ولن نلبث أن نرى شجرة العيد .

فقالت أماليا وقد نفد صبرها :

– إن تناول وجبة الإفطار فى صباح يوم العيد مضيعة للوقت .

فقالت الجدة :

– ربما لا تشعران برغبة فى الإفطار بعد أن أكلتما ما فى الجوربين من حلوى وفاكهة .

وعاد الجد بعد تأدية مهمة صغيرة فى غرفة الجلوس ، حدست أماليا أنها مهمة إيقاد شموع شجرة العيد .

قال :

— هيا بها .

ولم تنتظر أماليا أو پيدچ دعوة أخرى ، فانطلقتا جرياً إلى حجرة الجلوس . قالت أماليا فى اغتباط وهى تتأمل شجرة العيد :

— ما أجملها ، وما أبدع منظرها ! !

وكانت شجرة العيد قد وضعت أمام النافذة الطويلة وزينت بالشموع الصغيرة والعقود البراقة والذرة المشوية والأجراس اللامعة والكرات الزجاجية الملونة ، كما كان فيها مختلف أصناف الحلوى اللذيذة . أما تحت الشجرة ، فقد وضعت مفاجآت العيد فى لفافات مختلفة الأشكال والحجوم .

وبرقت عيون الفتاتين بريق النجوم اللامعة ، وقالت أماليا فى غبطة بالغة :

— هذه أجمل أشجار العيد كلها ، ترى متى نستطيع أن نفتح لفافات هدايانا ! ؟

قال الجد :

— هاك واحدة على رأس الكوم ، وقد كتب اسمك عليها . وناولها لفة بيضاء ربطت بشريط أحمر ، وقد كتب عليها

« إلى ميليا من جدتها » ، فأخذتها أماليا بلهفة ، وأخرجت منها صندوقاً صغيراً من الخيزران له غطاء متحرك .

هتفت فرحة :

— هذه أدوات لصيد السمك ! !

فقالت الجدة :

— لا يا ميليا ، ليست أدوات لصيد السمك ، فافتحى الصندوق وانظرى ما فيه

وفتحت أماليا القفل المعدنى الصغير ، ورفعت الغطاء ونظرت إلى داخل الصندوق ، فوجدت فيه أدوات للتطريز ، من مقص وبكرات وإبر ودبابيس . وتلاشت لهفة الفتاة ، ولكنها تظاهرت بالسرور ، وقالت :

— شكراً يا جدتى ، إنها هدية جميلة .

قالت الجدة :

— رأيت أن أهديك أدوات التطريز ، فربما كنت راغبة فى تعلم هذا الفن .

فقالت أماليا فى شك :

— ربما حاولت أن أتعلم التطريز يا جدتى .

وتناول الجد لفتين أخريين ، قدمهما إلى حفيدتيه قائلا :

— هذا لك يا پيدچ ، وهذا لك يا ميليا .

فقالت پيدچ وهى تقرأ ما كتب عليهما :

– إنها من أمى .

وفتحت أماليا علبتها وأخرجت منها هدية جميلة ، قالت وهى ترفعها بيدها عالياً :

– ثوب من الحرير المقلم ، فما أجمله !

وقالت بيدج وهى تخرج بدورها هديتها :

– ثوبى كثوبك تماماً يا ميليا ، فانظرى الأساور والبنيقة المخملية .

قالت أماليا :

– شكراً لك يا أماه ، وجميل منك أن تعطينى ثوباً حريرياً ، بعد أن ضاق ثوبى القديم ولم يعد لائقاً بى .

قالت الأم :

– لأنك تكبرين بسرعة يا ميليا وطولك يزداد باضطراد .

قالت بيدج :

– أتسمحين لنا أن نرتديهما اليوم ؟

قالت الأم :

– نعم يا عزيزتى .

قال الجد وهو يقدم لأماليا لفة ثالثة :

– هاك هديتى يا ميليا ، وعيد سعيد .

قالت أماليا :

– كتاب ... شكراً يا جدى ، فأنا كما تعلم شغوفة

بالقراءة وتلت عنوان الكتاب وقالت :

– « الجمال الأسود » إنه تاريخ حياة حصان ، وأنا أحب الخيول .

ووقفت أماليا ترقب توزيع الهدايا وتتساءل أين هدية أبيها ؟

ترى هل تسلم رسالتها ؟ أم تسلمها ثم نسى أن يشترى لها ما طلبته منه ؟ ألا يجوز أن يكون الثوب هدية أمها وأبيها معاً ؟

ونظرت تحت شجرة العيد ، ووجدت بعض اللفائف التى لم تفتح بعد ، ولم تكن بينها واحدة كبيرة تتسع لكرة القدم .

قال جدها ، وهو يقدم إليها صندوقاً مسطحاً :

– إليك هدية أبيك يا ميليا .

وتناولت أماليا الصندوق حزينة ، وقد تبخرت آمالها فى كرة القدم . وحلت أربطة الصندوق المسطح ، ونزعت الأوراق من حوله ، وفتحته ، ثم صرخت فى سرور بالغ :

– أبى ... أبى ... أبى ، لقد وصلتك رسالتى إذن ؟ لقد ظننتها شيئاً آخر كنت أعتقد أن كرة القدم توضع فى صندوق مربع كبير ، لا فى صندوق مسطح كهذا ، إنها فارغة من الهواء ، وما علينا إلا أن ننفخها ! !

واعتدلت الجدة فى جلستها ، ونظمت ثوبها الصوفى ، وشدت بنيقتها العالية ، ثم نظرت إلى ميليا فى وقار وجلال .

ولم تقل الجدة شيئاً ، ولكن ميليا كانت تعلم ما يجول فى رأسها ، وتعرف كم تستنكر أن تلعب حفيدتها بكرة قدم ، لا يلعب بها إلا الصبيان .

قال الجد :

— لم يبق غير هذا الصندوق الكبير .

وجذب الصندوق من مكانه خلف الشجرة ، ثم قرأ البطاقة المثبتة عليه « إلى ابنتىّ كى ينعما بالانزلاق فوق الجليد على بطونهن » .

وحدست أماليا وپيدچ ما فى الصندوق ، ولكنهما لم تكونا واثقتين بعد ، قالت أماليا :

— إنها زحافة للجليد يا پيدچ .

قالت پيدچ :

— بل زحافتان ، واحدة فوق الأخرى .

وأخرجت الزحافتين من الصندوق ، فقالت أماليا :

— تصورى يا پيدچ ، إن قضبانهما من الصلب . . . قضبان من الفولاذ .

فقالت پيدچ :

— ولها عصىّ حقيقية للقيادة .

فقالت أماليا متعجبة :

— إنك دائماً تسعدنا بهداياك ياأبي ، وعيدنا اليوم عيد حق !

وتطلعت الفتاة فرحة إلى أفراد عائلتها ، فرأت الجدة تهز رأسها فى استنكار صامت ، فأدركت أماليا ما يجول بخاطرها ، فهى تريد أن تقول : « كرة القدم أولا » ثم زحافة الصبيان ! !

وتكلمت الجدة بصوت هادىء حازم :

— وما عيب الزحافات القديمة ذات القضبان الخشبية ؟ إن البنات يجلسن عليها منتصبات وهن يتزحلقن على الجليد ، فلماذا اخترت أن تهديهم زحافات الفتيان ؟

قال الأب :

— لأنها أسلم عاقبة من الأخرى ، وأكثر متعة وتسلية .

واغتمت أماليا ، وزايلتها بعض سعادتها ، فتقدمت من جدتها قائلة :

— هذه الزحافات أسرع من الأخرى ويمكن توجيهها كما نشاء ، وهو أمر ضرورى فى بعض الأحيان .

ثم أضافت :

— لقد أعجبت كل الإعجاب بصندوق التطريز يا جدتى وسأحاول أن أتعلم التطريز كما تشائين ، وأنا أحبك كثيراً ، يا جدتى .

أجابت الجدة .

— وأنا أحبك أيضاً يا ميليا ، فأنت سميتى ، وأتمنى أن تسعدى بهداياك ، إنى امرأة من الطراز القديم ، وقد اعتدت أن

أرى الفتيات ينشأن كما يصح أن تنشأ الفتيات ، ولكنك تملكين كرات ومضارب وعجلات ، واليوم أهديت كرة قدم وزحافة صبيان ، لا بأس ، أنى أتمنى لك السعادة على كل حال .

وابتسمت أماليا ، وقد سرها أن تلمس رضا جدتها . قالت لأختها :

— سوف تحضر توتى وكاتشى عن قريب لتتسلما هداياهما ، فهيا بنا نرتدى ثيابنا الجديدة .

وقالت پيدچ مكملة :

— ونربط ضفائرنا بأشرطتنا الجديدة .

وقالت الجدة وهى تغادر الحجرة :

— سأذهب إلى المطبخ لأرى إذا كان الديك الرومى قد نضج ، قبل أن يحضر آل تشاليس .

قالت الأم :

— غيرا ملابسكما بسرعة يا بنتىّ ، وعودا إلىّ لتساعدانى فى جمع هذه الأوراق المتناثرة على الأرض ، قبل أن يحضر الضيوف ونفتح ما بقى من الهدايا .

١١

الزحافة الجديدة

بعد بضعة أيام ، دق جرس الباب عالياً عقب الغداء ، فقالت أماليا فى نفسها : « ترى من هذا الطارق المستعجل » . وجرت تفتح الباب ، فكان القادم چاريد ، قالت :

ـ أهلا بك يا چاريد ، ادخل فإن الجو بارد فى الخارج

قال وهو يدخل :

ـ أحضرى زحافتك يا ميليا ، فسوف نذهب إلى التل الكبير لنتزحلق ، فقد كساه الجليد الصلد ، واستدعى پيدچ أيضاً .

وفرك چاريد يديه ليدفئهما ، وقال :

ـ ستحضر معنا توتى وكاتشى أيضاً .

قالت :

ـ فكرة طيبة ، فادخل إلى حجرة الجلوس واصطل بنيران مدفئها حتى أستعد للخروج معك .

ونادت أماليا وهى تصعد السلم جرياً :

ـ ارتدى ثياباً ثقيلة يا پيدچ ، فسوف نذهب لنتزحلق

على التل الكبير .

وسار الأطفال الثلاثه فى الشارع المغطى بالجليد ، وهم يسحبون زحافاتهم ، وأحذيتهم الثقيلة تدب على الأرض فى صوت مسموع . وعندما وصلوا إلى المنزل المجاور لهم ، صرخوا ينادون توتى وكاتشى .

وخرجت بنتا تشاليس مسرعتين ، تجران زحافتيهما الخشبيتين ، وأسرع جميعهم فى السير مرة أخرى ، فنظرت كاتشى بغبطة إلى زحافة ابنة خالتها الحديدية الجديدة وقالت :

— أتسمحين لى يا ميليا بركوب زحافتك الجديدة ولو مرة واحدة ؟

قالت أماليا :

— بكل تأكيد ، ويسرنى أن تجربيها .

وكانت الأشجار التى تقف على جانبى الطريق عارية عن الأوراق ، وأغصانها جمدها الجليد الذى تراكم فوقها ، كما تراكم فوق أسطح البيوت ، وأخيراً وصل الجمع إلى التل الكبير حيث اجتمع أكثر أطفال مدينة أتشيسون استعداد للتزحلق .

صاح چاريد :

— مرحى — مرحى .

قالت چنچر پاركس وهى تضرب الأرض بقدمها ،

وتفرك يديها طلباً للدفء :

— ياله من يوم قارس البرد

وقالت پيدچ :

— لم أر التل من قبل بهذا الانزلاق والنعومة .

قالت أماليا :

— ولا أنا ، وهذه النعومة تزيد رياضتنا لذة وتسلية .

فقال چاريد :

— أحسنتما صنعاً بإحضار الزحافتين الجديدتين ، فان النوع الآخر الخشبى الذى تركبه الفتيات عادة ، غير مأمون فى مثل يومنا هذا .

وركع بايلى واجونار على زحافته ، ودفعها إلى الأمام ، فبدأت تنزلق على المنحدر الطويل، فهتفت توتى وباصحابها قائلة :

— انظروا كيف يندفع مسرعاً :

وقالت أماليا :

— هل حاولت الانزلاق يا چنچر ؟

فقالت :

— ليس بعد . فلست أتقن توجيه زحافتى ، وأخاف أن أنقلب بها ، ليت لى زحافة حديدية مثلك .

فقالت أماليا :

– لا زحافتك ولا زحافتى يمكن إيقافها اليوم ، فإن الجليد شديد النعومة والانحدار .

سألها چاك تشاليس :

– وهل تنزلقين رغم ذلك ؟

قالت :

– بكل تأكيد .

ووضعت أماليا زحافتها على حافة المنحدر ، ورقدت على بطنها فوقها ، وصاحت :

– ليدفعنى أحدكم .

ودفعها چاريد دفعة قوية ، فتحركت الزحافة فى بادئ الأمر ببطء ، ثم زادت سرعتها تدريجاً . وكان الهواء البارد يضرب وجه أماليا ، فتسيل الدموع من عينيها ، ولكنها كانت فرحة مغتبطة ، تتخيل أنها تطير فوق الجليد ، وتقول فى نفسها : « كأننى أطير فى الهواء »

وصرخ أصدقاؤها من فوق التل يحذرونها ويقولون :

– احترسى يا ميليا . . احترسى .

ونظرت أمامها ، فرأت حصاناً يبرز من جانب الطريق وهو يجر خلفه عربة كبيرة ، وكان الحصان والعربة قرب سفح التل المنحدر .

وفوق قمة التل كانت پيدچ تصرخ فى فزع وتقول :

أنها عربة الحطاب ، اصرخوا بصاحبها ليوقفها قبل أن تصطدم بها ميليا .

فقال بعضهم :

— لن يسمعنا مهما صرخنا لأنه أصم .

صرخت توتى :

— سوف تقتلها الصدمة !

وقال صبى من الواقفين :

— ولن يراها الحصان أيضاً ، فعلى جانبى عينيه عصابتان !

وقال صبى آخر :

— والأرض منزلقة لا تساعده على الوقوف .

وكانت أماليا فوق زحافتها تدرك تماماً أنها لن تقدر على وقف انزلاقها ، فلما اقتربت من العربة والحصان ، حبست أنفاسها ، وهى تبتهل إلى الله أن تنحرف بها الزحافة قليلا عن موطن الخطر ، ودفعت عصا القيادة بقوة شديدة ، فانحرفت الزحافة كما أرادت صاحبتها ، وعند ذلك خفضت أماليا رأسها ، ومرقت كالسهم !

زفرت پيدچ زفرة الارتياح ، وقالت :

— أرأيتم كيف عملتها ؟ !

وقال چاريد :

— وكان الفضل لسرعة بديهتها .

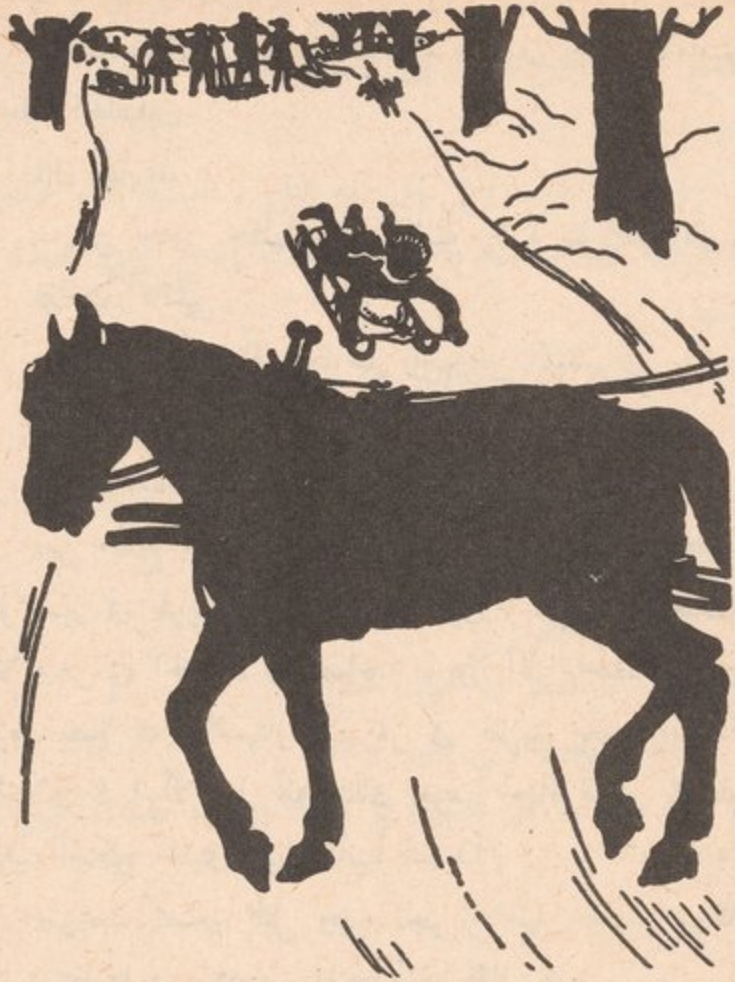

اقتربت من العربة والحصان

وقال چاك تشاليس :

ـ لقد مرقت تحت الحصان ، من بين رجليه الأماميتين ورجليه الخلفيتين .

قال چاريد :

ـ من حسن حظها أنها كانت راقدة على الزحافة .

فقالت كاتشى :

ـ ولو لم تكن راقدة ما سلم رأسها من التهشيم .

وقالت پيدچ مكملة :

ـ وما سلمت أضلاع الحصان أيضاً .

ومن سفح التل نظرت أماليا خلفها إلى حصان الحطاب وهو يسير فى طريقه غير شاعر بما جرى ، فقالت فى نفسها : « لا شعر بى الحصان ولا صاحبه ، ولا أظن الحطاب رآنى ، كيف يصل به الاستهتار أن يمر فى طريق يعترض ميدان الانزلاق ؟ ! ألا يعلم أنه بذلك يعرض حياة الناس للخطر؟ سوف أشكوه لجدى ليؤنبه تأنيباً شديداً » .

وشرعت تصعد التل وهى تجر زحافتها خلفها ، وكان بايلى ينتظرها فى منتصف المنحدر ، فقال لها :

ـ أحمدى لله أنك مازلت على قيد الحياة يا ميليا ، لقد أفزعنى ما حدث .

فقالت أماليا فى غضب :

– يعلم الحطاب أننا نترحلق فى هذا المكان ، فما كان يصح أن يمر من هنا ، إنى سعيدة الحظ بالنجاة . لقد كدت أموت خوفاً .

وسارت بجانب بايلى إلى قمة التل ، حيث كان أصدقاؤها ينتظرونها فى صمت وذهول . قالت پيدچ وهى تمسك بيد أختها :

– ظننا أنك ستقتلين يا ميليا .

وقال چاريد :

– ولم يكن بوسعنا أن نمنع الكارثة والحطاب أصم لا يسمع صراخنا .

قالت چنچر :

– كنا جميعاً فى خوف شديد

وقالت پيدچ وهى تدير زحافتها :

– هيا بنا إلى البيت يا ميليا ، فقد فقدت رغبتى فى الانزلاق .

فأجابت أماليا :

– هيا بنا جميعاً إلى البيت ، وستعطينا جدتى شيئاً من الشكولاتة الساخنة .

جلست وموريل وأصدقاؤهما حول النار ، وجلست معهم الجدة أوتيس توزع عليهم الفطائر والشكولاته الساخنة .

قال جاريد :

ـ لقد أتت ميليا التصرف الوحيد الذى كان ينقذ حياتها ، ولو رأيتيها يا مسز أوتيس ما ملكت غير الإعجاب بها

قالت الجدة :

ـ لابد أنه كان موقفاً رهيباً ، فأشكر الله أن ميليا ما زالت حية سليمة .

فقال بايلى :

ـ إنها تحسن التصرف دائماً .

وقالت توتى :

ـ لو كنت مكانها ما استطعت أن أتصرف أو أفكر .

وقالت چنچر :

ـ أما أنا فزحافتى عالية ، وما كان فى مقدورى أن أتحكم فى سيرها .

فقالت أماليا فى تواضع :

ـ كل ما فى الأمر أن كان الحظ حليفى .

وقالت پيدچ :

ـ إنى عظيمة السرور لأن والدى أعطانا زحافات الصبيان هذه .

قالت الجدة وهى تهز رأسها :

ـ لا يعجبنى أن تقلد البنات الفتيان .

فقالت أماليا :

— ولكنا فى زمن تتمتع الفتاة فيه ببعض الحرية يا جدتى ، والبنات يفضلن اللعب والمرح على أن يتصرفن تصرف الكبار طول الوقت .

قالت الجدة :

— إن لوالديكما سياسة عجيبة فى تربيتكما ، أثارت أقاويل أهل أتشيسون ، فمن السراويل إلى ألعاب الهنود الحمر ، ومن كرة القدم إلى زحافات الصبيان .

قالت أماليا :

— لابد أن تبدأ واحدة طريق الحرية ، فلم لا أكون أنا وپيدچ طلائع لبنات جنسنا ؟

قالت الجدة :

— لقد قمت بدورك فى هذه الناحية ، ولا أظنك أقل شأناً ممن بدأن التعمير فى أتشيسون .

وابتسمت أماليا لجدتها فى حب ، فقد سرها أن تسمع هذا القول الجميل ، وأن تسمعه من جدتها على الأخص .

١٢

الأم تقرأ كتاب « الجمال الأسود »

قالت الأم :

— أسرعا يا بنيتى بالاستعداد للنوم ، وسأقرأ لكما مزيداً من كتاب « الجمال الأسود » وأنتما تشربان اللبن .

فقالت پيدچ :

— حسنا . . . حسنا .

وقالت أماليا :

— سنسرع إذاً بالاستعداد ، وأنا سعيدة بوجودك معنا يا أماه .

وقالت پيدچ :

— إن القصص تزداد متعة وتسلية عندما تقرئينها أنت .

وعندما عادت الفتاتان إلى حجرة الجلوس ، وهما تلبسان ثياب النوم ، وقد تدثرتا بمعطفين سميكين ، همست أماليا فى أذن أختها قائلة :

— أبطئى فى شرب اللبن ، فقد وعدت أمى أن تقرأ لنا ونحن نشربه ، ولم تحدد لنا وقتاً لذلك .

وجلست الفتاتان على الأرض تحت أقدام أمهما أمام المدفأة ، وقد أمسكت كل منهما بكوب لبن ، ترتشف منه رشفة صغيرة بين حين وحين .

وفتحت الأم الكتاب ، وقالت :

ـ أتذكران أين وقفنا من القصة ؟ لقد كان المهر الصغير المسمى « الجمال الأسود » غير معتاد على لبس السرج والعنان .

ثم شرعت تقص القصة ، والفتاتان ترتشفان اللبن فى بطء شديد جداً ، ثم قالت أماليا بعد وقت :

ـ كان صاحبه رءوفاً به .

وأومأت پيدچ برأسها وقالت :

ـ إنى أحب السيسى الصغير المسمى ذو الأرجل الراقصة.

فقالت الأم :

ـ وأنا أحبه أيضاً ، اشربا اللبن يا بنتىّ .

ثم عادت تقرأ فى الكتاب طويلا ، واللبن ما زال فى الكوبتين لا ينتهى .

قالت أماليا :

ـ يحزننى أن بيع « الجمال الأسود » إلى سيد آخر يضع له عناناً شاكماً ، ولكن ما هو العنان الشاكم يا أماه ؟

قالت الأم مفسرة :

ـ إنه عنان خاص ، يمتد من فم الحصان إلى السرج ويشد إليه ، فيضطر الحصان إلى رفع رأسه .

فسألتها پيدچ :

ـ ولم يستعمل هذا العنان ؟

فأجابت الأم :

ـ لأن ارتفاع رأس الحصان كان يعتبر نموذجاً لأناقته وجماله ، ولكن العنان الشاكم يتعب الخيل وقد يضر بصحتها .

فقالت أماليا ! :

ـ أما زال هذا العنان مستعملا يا أماه ؟

فقالت الأم :

ـ نعم للأسف يا عزيزتى .

فقالت أماليا :

ـ ولكن لم يستعملونه ما دام يؤلم الحصان ؟

أجابت الأم :

ـ لأن الناس ما زالوا يريدون أن ترفع الخيول رءوسها لترتفع أرجلها عاليا وهى تخطو إلى الأمام ، وهم فى تحقيق هذه الرغبة ، لا يفكرون فى راحة الحيوان المسكين .

ورشفت أماليا رشفة من اللبن ، حرصت أن تكون رشفة صغيرة ، ثم قالت :

ـ هذا شىء مؤلم .

وقالت پيدچ بعطف :

ـ مسكين « الجمال الأسود » ، لابد أن العنان الشاكم أسال الزبد من شدقه ، وآذى عنقه أيضاً .

قالت أماليا :

ـ لقد رأيت بعض الخيول هنا فى أتشيسون يعلو الزبد أشداقها ، فلا بد أن يكون ذلك بسبب الأعنة الشاكمة .

وكان كوب پيدچ قد فرغ ، أما كوب أماليا فما زالت به بقية من اللبن ، فقالت الأم :

ـ إنك تستنفذين وقتاً طويلا جداً ، لتشربى كوباً واحداً من اللبن يا ميليا .

فقالت أماليا :

ـ ولكنك وعدت أن تقرئى لنا حتى ننتهى من شرب اللبن ، وما دمت لم أنته بعد ، فأرجو أن تواصلى القراءة .

وجعلت الأم تقرأ ، وأماليا تزداد حنقاً على سوء المعاملة التى يلقاها « الجمال الأسود » ، وأخيراً قالت غاضبة :

ـ يا للخيول المسكينة ، إنها تتعذب فى حياتها .

فقالت الأم :

ـ إنها لا تتعذب إلا إذا كان صاحبها قاسياً .

ثم نظرت إلى ساعتها وقالت :

ـ يجب أن تذهبا الآن إلى الفراش ، فلقد أمضيت

يا ميليا ساعة ونصف ساعة وأنت تشربين كوباً واحداً من اللبن .

فضحكت أماليا ، وقالت :

ـ ولكنك وعدت أن تقرئى لنا حتى نفرغ من شرب اللبن .

فقالت الأم :

ـ سأكون فى المرة القادمة ، أكثر حذراً فى وعودى ، فهيا افرغى من هذا الكوب حالا ، أيتها السيدة الصغيرة .

وقبلت الفتاتان أمهما قبلة المساء ، وصعدتا إلى مخدعهما وفى طريقهما إليه قالت أماليا لأختها :

ـ غداً يا پيدچ ، ننقذ الخيول البائسة من الأعنة الشاكمة .

ركبت أماليا وپيدچ دراجتيهما ، وطافتا بالشوارع باحثتين عن خيول ذات أعنة شاكمة .

وأخيراً صرخت أماليا قائلة :

ـ هاك عربة يجرها حصان رافع الرأس ، فلا بد أن يكون عنانه شاكماً . سنتحدث إلى السائق فى ذلك إذا أوقف العربة .

قالت پيدچ :

ـ أنجرؤ على ذلك ؟

فقالت أماليا بحزم :

ـ لابد أن ينبرى أحد إلى إنقاذ هذا الخيول البائسة ، والأمر فى يدنا .

قالت پيدچ :

ـ هناك أيضاً عربة البدال ميلز تقف أمام بيت واجونار

فقالت أماليا :

ـ هيا بنا إليها :

وركبت الفتاتان دراجتيهما إلى العربة الكبيرة .

كان شدقا الحصان يعلوهما الزبد الأبيض ، وراسه مرتفع ، وعنقه مقوس ، وكان هارولد صبى البدال يخرج من العربة صندوقاً كبيراً . قالت له أماليا :

ـ انظر يا هارولد إلى الحصان ، إنه لا يستطيع أن يجر هذه العربة الثقيلة ورأسه مرفوع بهذا الشكل ، فأرجو أن ترخى له العنان الشاكم .

ومضت لحظة وهارولد ينظر إلى أماليا وپيدچ بدهشة ، ثم قال :

ـ إنه ليس حصانى ، بل هو حصان مستر ميلز ، فليس من شأنى أن أخلع عنه عنانه .

قالت أماليا تحاوره :

ـ ولكن الحصان يصبح أقدر على جر العربة إذا كان

خافض الرأس .

فقال هارولد غاضباً :

— أنصتى لى يا أماليا أيرهارت . إن مستر ميلز أحسن بدال فى المدينة ، ويجب أن تكون عربته جميلة أنيقة ، ولا أظنك تريدين أن يترك حصانه خافض الرأس كى يرعى العشب أينما وجده ، فهيا انصرفى عنى ، فليس عندى وقت لمناقشتك .

وعادت الفتاتان إلى دراجتيهما ، وأماليا تقول فى نفسها :

— لا نستطيع أن ننقذ هذا الحصان المسكين .

ثم قالت لپيدچ بصوت مرتفع :

— لن نناقش أحداً فى المرة القادمة ، فهيا بنا .

ومضت الفتاتان تبحثان عن حصان لا يصاحبه سائق ، فقد كانت مناقشة السائقين مضيعة للوقت .

قالت أماليا :

— ها هى ذى عربة بائع اللبن ، وصاحبها داخل البيت يسلم بضاعته ، فأسرعى بنا يا پيدچ .

ونزلت الفتاتان عن دراجتيهما ، واقتربتا من الحصان ، وكان الحيوان مرفوع الرأس يتنفس بصعوبة ، فيعلو جنباه ويهبطان . قالت أماليا :

— سوف ننقذه من محنته .

وتسلقت العربة ، ثم قالت :

ـ أظن أن هذا رباط العنان الشاكم ، فإذا حللته استراح الحصان .

وجعلت تشد الرباط مرة بعد مرة ، حتى تمكنت من حله فى النهاية ، وإذ ذاك مد عنقه وخفض رأسه ، وهزها فى ارتياح ورضا .

وتلفتت پيدچ حولها وقالت :

ـ إن بائع اللبن قادم ، فدعينا ننصرف قبل أن يرانا .

قالت أما ليا وهى تهبط إلى الأرض بسرعة :

ـ صدقت .

واختطفت الفتاتان دراجتيهما ، ولكن الرجل رآهما ، فصرخ فيهما قائلا :

ـ ماذا فعلتما بحصانى ؟

ولم تقف أماليا لتجيبه ، ولم تقف پيدچ أيضاً ، بل مضتا بالدراجتين فى أقصى سرعة ممكنة . والتفتت أماليا إلى الخلف ، فرأت بائع اللبن يستوى على عربته ، ويلهب الحصان بالسوط ليتبعهما . فقالت پيدچ فى قلق :

ـ من الأفضل أن نعود إلى البيت .

وقالت أماليا :

ـ أسرعى فقد جن جنون الرجل .

قالت پيدچ :

— أتظنين أنه عرفنا يا ميليا ؟

قالت :

— من غير شك ، لقد رآنا جيداً ، لأننا لم نسرع بالمسير فى الوقت المناسب .

ولم يكن بائع اللبن بعيداً عنهما عند ما دخلت الفتاتان الفناء الأمامى لبيتهما ، ومرقتا منه إلى الفناء الخلفى .

قالت أماليا :

— هيا بنا نختبئ سريعاً ، وطسوت الغسل هذه خير مخبأ لنا

وكانت الطسوت مقلوبة على فوهاتها فى الشرفة الخلفية ، فاختفت كل منهما تحت واحد منها ، فى الوقت الذى وصل فيه بائع اللبن إلى الشرفة .

ودق الرجل الباب ، فخرجت إليه الخادم ليلى بل ، فقال لها فى صوت غاضب قوى :

— أريد أن أتحدث إلى مسز أيرهارت .

فقالت ليلى بل :

— حسناً يا سيدى ، سوف أناديها .

وجاءت مسز أيرهارت إلى الباب ، فقال لها الرجل فى غضب شديد :

ـ جئت أشكو لك بنتيك ، وسوف آخذ من حلت رباط حصانى إلى السجن ، لأعلمها ألا تتدخل فيما لا يعنيها .

فقالت مسز أيرهارت :

ـ ألا تخبرنى بما حدث ؟

قال :

ـ ضبطها وهى تحل رباط العنان الشاكم .

قالت :

ـ لست أعرف أين هما الآن ، وإنى فى غاية الأسف لما بدر منهما ، وثق أنهما ما فعلتا ذلك إلا رحمة بالحصان .

قال ساخراً :

ـ رحمة ! !

فقالت :

ـ نعم ، فإن العنان الشاكم يؤلم الحصان ، وأنا واثقة أنه يكون أقوى على العمل وأصلح له إذا كان فى إمكانه أن يخفض رأسه .

ونظرت نحو الطسوت فرأت من خلفها يداً صغيرة تتحرك ، وحذاء أسود .

قال بائع اللبن :

ـ إنى لا أرهق حصانى بالعمل ، ولكنه يتعب بسرعة .

فقالت :

– جرّب أن تستغنى عن عنانه الشاكم ، فتجده أكثر جلداً على العمل .

قال :

– حسناً ، قد أفعل ذلك ، ولكن نبهى بنتيك الا تتدخلا فى شئون حصانى مرة أخرى .

قالت :

– سأنبههن ، وأعدك الا تتكرر فعلتهما .

وعندما انصرف بائع اللبن ، قالت مبز أيرهارت لبنتيها :

– أعلم أنكما مختبئتان وراء الطسوت ، فاخرجا حالا .

وخرجت أماليا وپيدچ من مخبئهما ، وكانت أماليا خائفة مما ينتظرها ، ولكن سرى عنها عندما نظرت إلى أمها ، فرأت أنها ليست غاضبة .

قالت الأم :

– أعلم حسن قصدكما فيما حدث ، ولكن يجب ألا تتدخلا فى شئون غيركما . وإياكما أن تحلا عنان حصان بعد الآن .

فقالت أماليا :

– ولكن ما ذنب الخيول المسكينة يا أماه . من العبث

أن نقنع السائقين بالمناقشة ، فقد حاولنا وفشلنا .

قالت الأم :

ـ يحزننى أن تتألم الخيول ياميليا ، ولكن يجب أن نحترم ملكية غيرنا ، إن الخيول ليست لنا ، فمن الخطأ الجسيم أن نمسها .

قالت پيدچ بحزن :

ـ وهل تظل الخيول تقاسى آلام الأعنة الشاكمة ؟

فقالت الأم :

ـ سيأتى اليوم الذى تتغير فيه هذه الأحوال ، فسيارات توزيع البضائع تزداد باضطراد ، ولن تلبث هذه السيارات أن تحل محل الخيول

قالت أماليا :

ـ وعند ذلك تطمئن نفوسنا ، فلست أرى وسيلة أخرى تنقذ الخيول المسكينة .

١٣

التخرج

فى يوم شديد الحرارة من أيام شهر يونيه عام ١٩١٠ ، وقف تلاميذ مدرسة أتشيسون الإعدادية بولاية كانساس ، ينتظرون فى ردهة المدرسة . وبينما كان البنات والفتيان يتحركون فى أماكنهم قلقين ، وهم يهمسون ويضحكون ، جعلت مس سارا وولتون تسير أمامهم جيئة وذهاباً ، وهى تحاول أن تسكتهم عن الكلام .

قالت :

— اسكتوا الآن . فبعد دقائق نذهب إلى المدرّج .

ووقفت بجانب أماليا ، وقالت لها :

— هل حفظت وچنچر القصيدة جيداً ؟

فقالت أماليا :

— نعم ، يا مس وولتون . حفظناها جيداً جداً ، ولن نخطئ فى تلاوتها .

قالت :

— حسناً ، إنى أعتمد عليكن ، إن القصيدة بند هام فى

حفل اليوم .

وأردفت قائلة :

ـ سوف افتقدك يا ميليا ، فقد كنت تلميذة طيبة مجدة ، رغم إهمالك لعلم الحساب ، ولو أنك عنيت به عنايتك بالعلوم الأخرى ، لنلت فيه جائزة الشرف .

فقالت أماليا :

ـ إن جائزة الشرف فى علم الحساب لا تهمنى كثيراً يا مس وولتون ، وأتمنى أن تنالها چنچر ، فقد كانت دائماً خيراً منى وأكثر اجتهاداً .

وتعالى صوت الموسيقى فى المدرج مؤذناً ببدء الحفل ، فانتصب التلاميذ فى وقفتهم ، وأسرعت مس وولتون فى ذهابها وإيابها أمام صفوفهم .

وسار التلاميذ إلى الداخل فى صف طويل ، فلما وصلوا إلى المدرج المكتظ بالناس ، تطلعت أماليا فيهم باحثة ، فرأت جميع أفراد عائلتها حاضرين . وجلست أماليا فى الصف الأمامى بين توتى وچنچر ، ثم بدأ الحفل .

وألقى السيد المحترم فرانسيس وايت ، راعى الكنيسة ، كلمة الافتتاح ، وتلتها أغنية ، ثم جاء دور أماليا أيرهارت وچنچر پاركز .

وعندما صعدت الفتاتان إلى المنصة ، رأت أماليا وجوهاً

كثيرة تتطلع إليها من المدرج العامر بالناس ، فشعرت فجأة بوجل واضطراب ، وأحست كأن حلقها ينقبض ، وتسارعت دقات قلبها وعلت ، حتى خيل إليها أن الجالسين يسمعونها .

ووصلت إلى وسط المنصة ، وفى أعقابها تسير چنچر ، فلما التفتت إليها تستحثها على الإسراع ، رأت فى وجهها سيماء من تود لو أطلقت للريح ساقيها ، فقالت بسرعة وقد خشيت أن تهرب الفتاة بالفعل :

— سوف نلقى قصيدة هوراشيو لتوماس ماكلوى ، وهى قطعة من أغانى روما القديمة .

وأمسكت بيد چنچر ، وشرعت الاثنتان تنشدان ، وكان صوت چنچر خافتاً جداً ، فقالت أماليا فى نفسها : « لن يسمعها أحد من الجالسين ، فعلى أن أرفع صوتى قدر ما أستطيع » .

وما أن انتقلت أماليا من بيت إلى بيت فى القصيدة ، إلا وبدأت تلتذ من الإنشاد ، فجعلت تقول لنفسها : « كأننا فى بيتنا نتدرب على إلقاء القصيدة ، ولست أجد ما يدعو إلى الوجل فى مجابهة كل هؤلاء الناس ، وحتى چنچر استردت جأشها » .

وعندما وصلت الفتاتان إلى أحب فقرة من القصيدة إليهما ، وضح صوتهما وثبتت نبراته :

« وعندئذ هتف هوراشيوس الشجاع
« حارس البوابة :
« كل رجل على هذه الأرض
« يأتيه الموت عاجلا أو آجلا
« وهل أكرم للرجل من أن يموت
« وهو يواجه الأحداث الرهيبة
« دفاعاً عن أجداث أجداده
« وذوداً عن معابد الآلهة . . . »

وسار الإنشاد سلساً ، وتوالت السطور التى طالما تدربت الفتاتان على إلقائها ، والمستمعون يصغون بعناية واهتمام . وعندما انتهت ، صفق الجالسون عالياً طويلا ، فأحست أماليا بسعادة غامرة ، لنجاحها وچنچر فى مهمتهما ، فقد أنشدتا سبعين بيتاً من الشعر ، فلم تخطئا فى كلمة واحدة ، حتى ما كان منها لاتينياً معقداً .

وبينما هما عائدتين إلى مقعديهما ، همست مس وولتون فى أذن أماليا قائلة :

— إنى فخورة بكما ، فلقد كنت أظن أن القصيدة طويلة صعبة ، ولكنكما أحسنتما أداءها .

وحان وقت تسليم جوائز الشرف ، وكانت لحظة هامة ، أثارت حماسة التلاميذ وتكهناتهم ، فلم يكن أحد منهم يعرف

لمن ستعطى هذه الجوائز .

وقف السيد المحترم وايت على المنصة ، وبعد أن سعل وعدل عويناته ، نظر إلى ورقة صغيرة ثم بدأ يقرأ فيها :

ـ جائزة التفوق فى التاريخ لأدوارد چاكسون .

وصعد أدوارد إلى المنصة ليتسلم جائزته . فأعطاه الراعى ربطة تبدو كأنها كتاب ملفوف .

وعاد الراعى يقول :

ـ جائزة التفوق فى العلوم لبايلى واجونار .

ولم يدهش أحد لهذه الجائزة ، فقد كان بايلى دائماً أمهر زملائه فى العلوم .

قال الراعى :

ـ جائزة التفوق فى الحساب لچنچر پاركز .

ونظرت چنچر بدهشة إلى أماليا ، وهمست قائلة :

ـ كنت أظنها لك !

ثم صعدت إلى المنصة تتسلم جائزتها .

وتطلعت أماليا إلى جدها من بعيد ، وهى تعلم أنه كان يتمنى أن تنال هذه الجائزة . فأحزنها أن تخيب رجاءه . وأسفت على أنها لم تبذل جهداً أكبر فى أداء واجباتها ، ولكنها كان ترى أن حل المسائل فى عقلها أسهل من حلها على الورق .

قال السيد وايت أخيراً :

ـ جائزة التفوق فى الإنشاء لأماليا أيرهارت .

وقفزت أماليا ، وهى تتساءل أخدعتها أذنها ؟ وهل حقاً نادى الراعى اسمها ؟ ولكزتها توتى قائلة :

ـ هيا يا ميليا ، اصعدى المنصة وخذى جائزتك .

وسارت أماليا إلى المنصة ذاهلة ، وتسلمت اللفة التى قدمها لها السيد وايت ، ولما عادت إلى مقعدها ، حلت أربطة اللفة ، فرأت فيها نسخة من « أغانى روما القديمة » لماكلوى مجلدة تجليداً جميلا ! !

وعندئذ حان موعد تسليم الشهادات ، فنادى السيد وايت لوسى تشاليس أولا ، ثم أماليا أيرهارت .

ووقفت أماليا على المنصة مرة أخرى ، تتسلم شهادتها ، فلما أعطاها الراعى إياها ، صافحته شاكرة ، وعادت إلى مقعدها .

وجعلت ترقب زملاءها يصعدون المنصة ، واحداً بعد الآخر ، فشعرت بالحزن لأنها لن تكون معهم فى مدرستهم العالية الجديدة إذ عليها أن تعود إلى الإقامة مع أمها وأبيها ، وقد يكون ذلك فى سانت بول أو فى شيكاغو أو فى كانساس ، حسبما يقتضى العمل .

سوف تغادر سريعاً بيت جدتها الكبير ، وتترك الألعاب

والحفلات والرحلات . وتذكرت مخزن الغلال الكبير ، والشاطئ المنحدر ، والتزحلق على الجليد فى الشتاء ، فامتلأت نفسها أسفاً وحزناً . ستكون ولا شك سعيدة بالحياة مع أمها وأبيها ، ولكن ابتعادها عن أصدقائها لم يكن أمراً يسيراً .

وانتهى توزيع الشهادات ، فقام تلاميذ السنة النهائية يغنون نشيد المدرسة ، وبذلك اختتم الحفل ، وتخرجت أماليا فى مدرستها ، فأسرعت إلى أفراد أسرتها تريهم الجائزة .

١٤

الطيران الأول

مضت عشر سنوات ، بدت بعدها أيام المدرسة فى أتشيسون ماضياً سحيقاً . ولم يكن البيت الآن فى كانساس أو أيووا أو فى أى مقاطعة من المقاطعات التى جالت بخاطر أماليا وهى فتاة صغيرة ، فقد انتهى المطاف بأبيها وأمها فى مقاطعة كاليفورنيا .

بعد بضعة أيام من عودة أماليا من المدرسة ، وفى إحدى الأمسيات كانت أماليا تجلس ووالدها فى شرفة البيت بلوس انجيلوس . قالت لأبيها :

— إن كاليفورنيا جميلة يا أبى ، وأنا سعيدة أن انتهى عهد المدرسة ، وسأبقى معك ومع أمى .

قال أبوها :

— وأنا سعيد أيضاً يا ميليا . لقد كانت دراستك مضطربة يا ميليا ، ويعتبر التحاقك بست مدارس عالية فى بحر أعوام أربعة ، رقما قياسياً .

وضحكت أماليا وقالت :

ـ من حسن الحظ ، أن بقيت بمدرسة هايد بارك العالية بشيكاجو وقتاً كافياً حتى تخرجت .

قال :

ـ وددت لو كانت أيام دراستك العالية أفضل مما كانت عليه ، ولكن نشوب الحرب العالمية . قلب الأمور رأساً على عقب .

قالت :

ـ ما كنت أسعد ببقائى فى الكلية والحرب قائمة ، ولقد أحسنت صنعاً بتطوعى للتمريض فى مستشفى الجيش ، وهذا أقصى ما كان فى استطاعتى أن أساهم به فى خدمة الوطن .

قال :

ـ لقد أقر لك رؤساؤك بالكفاءة وشهدوا أنك أديت عملك

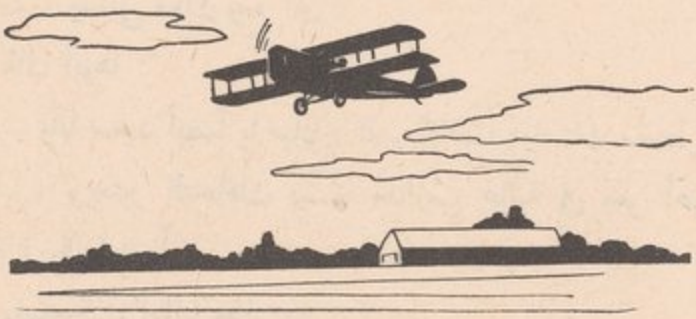

كنت أقضى كل

على خير ما يكون .

فقالت :

– لقد أحببت عملى فى المستشفى ، ولكنى كنت أتألم لرؤية الجرحى والمقعدين من الجند . ولعل أحسن ما جادت به هذه الحرب هو الطائرات ، فقد كنت أقضى كل أوقات فراغى فى المطار ، أراقب الطائرات تزأر صاعدة فى الهواء ، ثم تسبح فيه كالطيور الجبارة . كان منظراً مثيراً للغاية .

وسادهما الصمت هنيهة ، ثم قال الأب :

– أنت فى الثانية والعشرين من عمرك يا ميليا ، وآن الأوان كى تقررى مستقبلك .

فقالت :

– نعم ، أعرف ذلك ، ولكن هناك أشياء كثيرة أود أن أمارسها . فانى أحب الرياضة ، وأحب السفر ، كما أحب الكتابة

أوقات فراغى فى المطار

ولكن أكثر ما أميل إليه أن أطبق ميكانيكا السيارات التى درستها، فى الاشتغال بالمحركات. فكيف أعمل كل هذه الأشياء؟

فقال الأب :

ــ إن العمل فى المحركات من اختصاص الرجال لا النساء، فخير لك أن تخرجيه من حسابك .

قالت :

ــ ليس من طبعك أن تقول مثل هذا الكلام يا أبى ، فقد سمحت لى دائماً أن أعمل ما يعمله الفتيان .

فقال :

ــ لا أظن أحداً من الناس يرضى بإعطائك عملا فى المحركات .

قالت :

ــ هذا خطأ يا أبى ، فليس هناك ما يمنع فتاة من أن تمارس عملا تحبه، لقد مضى وقت هذه التقاليد البالية السخيفة .

قال الأب :

ــ حسناً ، إن كل ميدان جديد يحتاج لمن يخطو فيه الخطوة الأولى ، وربما استطعت أن تفعلى ذلك .

فابتسمت أماليا لأبيها راضية ، وقد اطمأنت إلى أنه ما زال كعهدها به ، ثم قالت :

ــ قرأت فى الجرائد أن مهرجاناً جوياً سيقام فى يوم الأحد

القادم ، بمطار دورتى بالقرب من لونج بيتش ، وأود أن أرى الطائرات تسبح فى الجو مرة أخرى ، فهلا ذهبنا إليه ؟

قال :

ـ سوف أصحبك إلى المهرجان ، وهذا وعد منى .

نظرت أماليا حولها بشغف فى أنحاء المطار ، تستمتع بالمهرجان الجوى المثير ، وكانت هناك طائرات قديمة من صنع جينى وكاناك ، وكانت هناك أيضاً طائرات الجيش والبحرية الجديدة ، من صنع دوجلاس ومارتن وستاندارد ، بعضها قاذفات قنابل وبعضها الآخر طائرات مطاردة ، ولكنها كانت جميعها طائرات صغيرة من ذوات المقعدين .

وكانت رؤية الطائرات وهى تسبح فى الهواء رياضة فى حد ذاتها مثيرة ، فكان الجمهور يتكالب على مشاهدتها ، ويضغط على الحبال المحيطة بالمطار . وكان الجو حاراً مغبراً ، ولكن أماليا لم تكن تشعر بذلك فى انصرافها إلى مراقبة الطيارين بمعاطفهم وقبعاتهم الجلدية ، ومتابعة موظفى المطار الذين يؤدون عملهم بسرعة ونشاط .

قال مستر أيرهارت ، وهو يتمنى أن تكون ابنته قد أشبعت شوقها إلى رؤية الطائرات :

ـ ألا تظنين أننا رأينا ما فيه الكفاية ؟

فقالت :

ـ لا يمكن أن نذهب الآن يا أبى ، فسيستمر المهرجان طوال المساء ، ونحن لم نشهد منه إلى الآن إلا جزءاً يسيراً .

كانت بنيقة مستر أيرهارت قد تجعدت بالعرق ، ووجهه تلطخ بالغبار ، فقال فى ضيق :

ـ هذا ما كنت أخشاه .

ولكن أماليا ظلت ترقب الطائرات تسبح حول المطار فى دورات صغيرة ، وإحداها تتقلب فى الجو مرة ومرة ومرة ، وهى تزأر فى هبوطها وارتفاعها

قالت لأبيها :

ـ أترى ذلك الرجل الذى يحمل شارة كتبت عليها كلمة « موظف » ؟ أريد أن أسأله كم من الوقت يحتاج الإنسان لتعلم الطيران ، فدعنا نتخطى نطاق الحبال يا أبى .

وزحف الاثنان تحت الحبال ، وتقدم مستر أيرهارت من الرجل الذى أشارت إليه أماليا ، فى حين بقيت هى مكانها حتى عاد أبوها . قال لها :

ـ عرفت منه ما تريدين ، فإن تعلم الطيران يحتاج إلى مدة تتراوح بين خمس ساعات وعشر ، حسب استعداد الطالب .

فسألته :

وكم تتكلف الدروس ؟

قال :

— لم تطلبي منى أن استفسر عن ذلك .

وبينما كاد صبر أماليا ينفد ، عاد مستر أيرهارت إلى الرجل يسأله فى هذه النقطة الهامة ،وعاد إليها أبوها يقول :

— تتكلف الدروس نحو ألف دولار ، ومن الغباء أن يضحى الإنسان بكل هذا المال من أجل تعلم الطيران .

ففالت أماليا فى جد :

— أريد يا أبى أن أطير .

ونظر إليها مستر أيرهارت دهشاً ، وسكت لحظة قبل أن يجيبها قائلا :

— لم أسمع أن سيدة طارت من قبل ، ولكن لا بأس من أن تجربى الطيران مرة ، ولن يصيبك ضر إذا طرت .

فقالت :

— أتأذن لى حقاً يا أبى ؟ إذاً فهيىء لى الفرصة من الآن .

وعاد مستر أيرهارت مرة أخرى ليتحدث إلى موظف المطار ، وأماليا تقول فى نفسها : « يظن أبى أن الأمر سيقف بى عند الطيران مرة واحدة ، ولكنى أريد أن أتعلم كيف أقود الطائرة بنفسى ، فالآن فقط أدركت أنها المهنة الوحيدة التى أنشدها » .

وعاد مستر أيرهارت يقول لها :

— لقد رتبت لك الأمر ، وسوف تطيرين غداً فى رحلة

قصيرة بمطار روجرز .

قالت :

ـ إنها أجمل هدية تقدمها الى، ولست أدرى كيف أطيق الانتظار إلى غد !

عند ما وصلت أماليا فى صحبة أبيها مستر أيرهارت إلى المطار ، كان صباح كاليفورينا المبكر صحواً منعشاً ، فتطلعت أماليا دهشة إلى الطائرات الجاثمة على الأرض .

وتقدم صوبهما طيار ، وقال يقدم نفسه لهما :

ـ اسمى فرانك هوكس ، فهل أنت مستر أير هارت ؟

فقال مستر أيرهارت وهو يصافحه :

ـ نعم ، وهذه ابنتى ، وقد رتبت أمس رحلة صغيرة بالطائرة

فقال الطيار :

ـ إن الطائرة على أتم الاستعداد فى الانتظار ، واليوم صحو جميل .

فهز مستر أيرهارت رأسه موافقاً بأدب ، ثم همس فى أذن أماليا :

ـ لن يكون الجو جميلا بالنسبة لى ؛

قال فرانك هوكس :

ـ يمكننا الركوب فى هذه اللحظة إذا كنت مستعداً .

فقال مستر أيرهارت بسرعة :

ـ لست أنا ، إنها ابنتى التى ترغب فى الطيران .

فقال هوكس وقد فارقته بشاشته :

ـ كذا ! !

ورأت أماليا ما ارتسم على وجهه فابتسمت ، وقالت فى نفسها : « عجباً ، أراه يخشى أن يتملكنى الفزع ، فأقفز من الطائرة ، أو آت عملا طائشاً . إنه لا يثق بالنساء ، فما أغباه ! »

وقال الطيار لأماليا :

ـ هيا بنا إذا كنت جادة فيما تريدين ، وهذه طائرتنا .

وأشار إلى طائرة حمراء اللون ، ذات مقعدين مكشوفين ، وأجنحة مزدوجة ، وقد وقف بجوارها عامل ميكانيكى .

وسارت أماليا مع الطيار ، قال لها :

ـ عليك أن تتسلق جناح الطائرة لتصلى إلى المقعد ، وإنها خطوة واسعة قد لا تسمح بها ملابسك .

قالت :

ـ سوف أدبر أمرى .

فقال :

ـ تجدين على المكتب عوينات كبيرة وغطاء للرأس ، ومن الأفضل أن تلبسيهما .

فوضعت العوينات ، وحشرت شعرها تحت غطاء الرأس ،

وتسلق هوكس جناح الطائرة بجانبها ، وثبت حول خصرها منطقة الأمان.

وتطلعت أماليا حول مقعدها ، فأدهشتها أشياء كثيرة تثير الاهتمام رأت عصا مستقيمة ، وعلى اللوحة الأمامية مؤشرات وعدادات ، وفى أرض المقعد بدالات .

فقالت تسأله :

ـ ما هذه الأشياء ؟

قال :

ـ إنها آلات الضبط ، فهذه طائرة مزدوجة الآلات ، يمكن قيادتها من هذا المقعد أو من ذاك . هنا عصا التوجيه ، وضابط الدفة على الأرض ، ولوحة الآلات أمامك .

قالت :

ـ وما عملها جميعاً ؟

قال مفسراً :

ـ عند ما تشدين عصا التوجيه نحوك ، يتجه مقدم الطائرة إلى أعلى ، وإذا دفعتيه أماماً ، اتجهت إلى أسفل ، وإذا حركتيه إلى اليسار ينخفض الجناح الأيسر كى تدور الطائرة فى اتجاهه ، وإذا حركتيه يميناً ، انخفض الجناح الأيمن ، ودارت الطائرة إلى اليمين .

فسألته :

ـ وما عمل ضابط الدفة الموجود على الأرض ؟

قال :

– إنه يتحكم فى دفة المؤخرة ، كما هو الحال فى السفينة ، ويستعمل لتحويل اتجاه الطائرة ، ويكفل مع عصا التوجيه طيراناً منتظماً .

قالت :

– لا بد أن يتعلم الطيار كثيراً فإنها مهمة معقدة .

سألها هوكس :

– أواثقة أنك لن تخافى ؟

قالت :

– لن أخاف أبداً .

وصعد إلى المقعد الأمامى ، ووضع عويناته وغطاء رأسه ، ثم أصدر أمره إلى الميكانيكى قائلا :

– الفرامل ! أدر المحرك !

وأدار الميكانيكى المروحة دورة ، فبدأ المحرك يطن ، واستمر دوران المروحة . وهب الهواء فى وجه أماليا عند ما درجت الطائرة على أرض المطار . وكان المحرك يدور فى صوت مرتفع . وأدار الطيار الطائرة إلى المدرج حيث تستقبل الريح .

ووقفت الطائرة عن المسير ، فتعالى صوت المحرك كأن الطيار يزيد من قوته ليختبره ، ثم استأنفت الطائرة مسيرها ، وزادت سرعتها تدريجاً ، ونظرت أماليا من فوق حافة مقعدها ،

فأدهشتها أن الطائرة ارتفعت عن الأرض ، فى تحليق سهل لم تنتبه إليه فى بادئ الأمر .

وعلت الطائرة صاعدة ، وقد ارتفع مقدمها فوق الأفق ، ثم استوت فى مسيرها ، وما لبثت أن انخفض جناحها الأيسر واستدارت الطائرة إلى اليسار .

ولاحظت أماليا أن عصا القيادة الموجودة أمامها تتحرك نحوها ، فتمعن الطائرة فى الصعود . ونظرت إلى الأرض ، فرأت كل شىء يبدو صغيراً ، وكأن المنازل والقطارات والسيارات والأشجار لعب من لعب الأطفال . وبدت مزارع البرتقال والحدائق والحقول كغطاء أخضر ذى رسوم بارزة ، والطرق والأسوار الخشبية مثل زركشة مطرزة فيه .

وبعد أن استوت الطائرة فى الجو بعض الوقت ، أحست أماليا كأنها تهبط فجأة ، كما يهبط مصعد كهربائى سريع ، فتشبثت بحافة مقعدها حتى انتهت فترة الهبوط بعد دقيقة .

هتف بها هوكس قائلا :

ـ نحن على ارتفاع ألفى قدم .

ووصل صوته إليها ضعيفاً وسط زئير المحرك وصفير الهواء ، فلم تحاول إجابته ، وقالت فى نفسها والسعادة تغمرها : « إنى طليقة كالطير ، وهذا ما كنت أحلم به دائماً ، فلا بد أن أتعلم الطيران . ولا بد أن أطير »

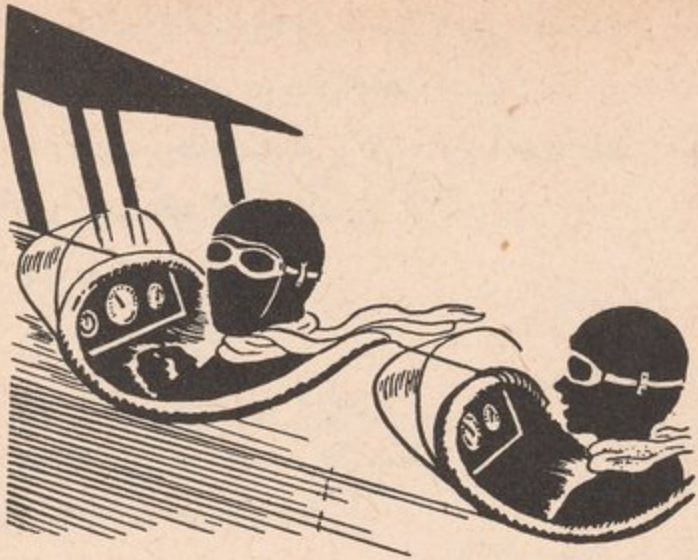

هتف فرانك هوكس : « نحن على ارتفاع ألفى قدم »

ودارت الطائرة دورة أخرى ، وكان مقدمها فى هذه المرة يتجه إلى أسفل ، ولاحظت أماليا أن العصا قد تحركت إلى الأمام ، وأن البيوت بدأت تكبر وتتضح . ودارت الطائرة دورة ثالثة ، وما زالت متجهة إلى أسفل ، فاقتربت كثيراً من الأرض .

كانوا مقبلين على المطار ، ثم صاروا فوق مدرج الطائرات . وقبل أن تدرك ما حدث ، كانت الطائرة تسير على الأرض . وسار فرانك هوكس بالطائرة عبر المطار ، ثم وقف بها حيث بدأت الرحلة تقريباً .

وأسرع مستر أير هارت إلى الطائرة وهو يقول :

ـ كيف كانت رحلتك يا ميليا ؟ وهل خفت ؟

قالت وهى تخلع عويناتها وغطاء رأسها :

ـ كانت رحلة مدهشة يا أبى ، ولم أخف طبعاً ، وأريد أن أتعلم كيف أقود الطائرة بنفسى .

قال يغيظها :

ـ ومتى تبدئين ؟

قالت وهى تهبط إلى الأرض :

ـ إنى أعنى ما أقول ، فلا تسخر منى ، لأنى لم أكن فى حياتى جادة كما أنا الآن .

وعاقتها ملابسها وهى تهبط ، فقالت لفرانك هوكس :

ـ سوف أرتدى سروالا فى المستقبل ، ولك منى أجزل الشكر لهذه الرحلة .

قال أبوها وهما فى طريقهما إلى البيت :

ـ اسمعى رأيى يا ميليا فيما يختص بالطيران ، فأنا لم أمنعك يوماً من شىء تريدينه ، ولكن الطيران أمر آخر ، فانها مهنة خطرة ، وميدانها جديد لا يناسب النساء ، فضلا عن نفقاته المالية الباهظة .

قالت :

ـ ثق أن مثل كلامك هذا قيل لأول امرأة رافقت الطلائع فى رحلاتهم إلى الغرب ، ولأن الطيران ميدان جديد أراه أكثر متعة وتسلية .

دروس الطيران

كادت الأسرة تفرغ من وجبة العشاء ، وكانت أماليا تنتظر أباها حتى ينتهى من أكل اللحم المحمر والبطاطس والجزر ، وعند ما قدمت له المثلجات وكعكة الشكولاتة ، أدركت أن الوقت قد حان لتحدثه فى الموضوع الهام الذى يشغل بالها .

قالت فى صوت هادئ :

ـ لقد اتفقت يا أبى مع نيتاسنوك أن تعلمنى الطيران .

فوضع أبوها الملعقة بسرعة وقال :

ـ ماذا ؟

قالت :

ـ سوف أتعلم الطيران ، ولعلك تذكر أنى أشرت إلى ذلك.

قال :

ـ وقد طرت يا أماليا أيرهارت ، فقد صحبتك إلى المطار منذ أسبوعين ، وأركبتك الطائرة بنفسى .

فقالت :

ـ ولكنى أريد أن أقود الطائرة ، وقد تحدثت فعلا إلى نيتاسنوك.

فسألتها أمها :

ـ ومن تكون نيتاسنوك هذه ؟

قالت :

ـ إنها طيارة تعطى دروساً فى الطيران ، وقد كانت أول امرأة احترفت الطيران بعد الحرب ، كما كانت أول من تخرج فى مدرسة كورتيس للطيران .

قال الأب مزمجراً :

ـ أمر ممتع جداً !

فقالت :

ـ ولكنى أفضل يا أبى أن تعلمنى امرأة ، فلن أشعر بغرابة وأنا أصغى إلى دروسها .

قال :

ـ ليس المهم أن يكون امرأة أو رجل ، ولكنى أتساءل عمن يدفع تكاليف هذه الدروس .

قالت :

ـ ظننتك توافق على دفعها يا أبى .

قال :

ـ أنا أدفع تكاليفها ؟ أأدفع ألف دولار لتتعلمى الطيران؟ ليس فى طوقى أن أدفع كل ذلك ، حتى إذا فرض ووافقت على أن تتعلميه .

قالت :

ـ ولكنى أريد أن أقود الطائرة يا أبى ، ويجب أن أتعلم .

قال :

ـ مع الأسف يا ميليا لا يمكننى أن أعطيك كل هذا المال .

وقام من المائدة ، وجلس بعيداً يقرأ جريدة المساء ، وقد اعتبر الموضوع بذلك منتهياً .

قالت أمها :

ـ أنا أيضاً آسفة يا ميليا ، فألف دولار قدر كبير من المال ، وأخشى أنه يتحتم عليك أن تقلعى عن الفكرة .

وشرعت أماليا ترفع الأطباق عن المائدة ، وليس فى عزمها أن تتخلى عن فكرتها ، فجعلت ترسم الخطط لتدبير المال اللازم لهذه الدروس . وكان تدبير هذا المال أمراً يحتاج إلى بعض التفكير .

قال الرجل الذى يدير مكتب التخديم فى شركة التليفونات

ـ ألديك خبرة سابقة أيتها الفتاة ؟

قالت أماليا فى صراحة :

ـ لا ، ولكنى على استعداد للتعلم .

فسألها الرجل :

ـ تعلم ماذا ؟

وشرد فكرها إلى طائرة تعبر السماء ، وتهبط على عجلاتها

الثلاث فى انحدار جميل ، ثم تنبهت أين هى فنظرت بسرعة إلى الرجل الجالس خلف المكتب الكبير وقالت :

– أتعلم كل شىء يتعلق بشركة التليفونات .

قال :

– لسنا نحتاج إلا إلى عامل يفرز البريد فى المكتب الخلفى ، ولا تحتاج هذه الوظيفة إلى مران ، ولكنى لست واثقاً من استعدادك للعمل مع الفتيان الذين يفرزون البريد فيه ، فكثيرون يكرهون ذلك .

قالت بلهفة :

– بل سوف يعجبنى العمل ، فمتى أبدأ ؟ وفى أى يوم أقبض أجرى ؟

فابتسم الرجل وقال :

– ابدئى اليوم إن شئت ، وستأخذين أجرك بعد أسبوع .

أدارت أماليا بصرها فى المكتب الخلفى ، فرأت حقائب مليئة بالبريد ، وصفوفاً متراصة على رفوف الحائط ، وكان ويلى العامل بالمكتب يطابق الأسماء المخطوطة فى المظاريف على الأسماء المكتوبة فوق الرفوف . فى حين كان چو ، العامل الثانى ، يفتح حقيبة ثانية .

قال چو :

ـ مهمتك أن تقرئى الاسم ، ثم تضعى الخطاب فى الرف المطلوب ، وإنه عمل بسيط لا يحتاج إلى شىء من التفكير .

قال ويلى مؤمناً على كلامه :

ـ نعم ، إنه عمل نموذجى ، فليس عليك حتى أن تفكرى .

وقال چو :

ـ اجلسى على هذا الكرسى ، وراقبينا برهة تتعلمين .

وسارت أماليا إلى الكرسى ، وجلست عليه تراقبهما ، ولكن الكرسى لم يكن مريحاً ، فأرادت أن تتحرك ، وإذ ذاك شعرت أنها التصقت به ، حاولت القيام ، فظلت لاصقة به مما اضطرها أن تجذب نفسها بشدة .

وضحك چو وزميله ضحكاً طويلا شديداً ، وقالا لها :

ـ لقد خدعناك فوقعت فى الشرك ، ها ها . .

وقفزت أماليا قفزة شديدة استطاعت بها أن تقف . والتفتت إلى الكرسى فرأت عليه قطعة من ورق الذباب اللاصق ، وقد علقت بثوبها . قال ويلى وهو يقهقه ضاحكاً :

ـ دعابة طيبة ، وسوف يشق عليك نزعها من ملابسك ، لأنها أقوى ما أمكننا أن نشتريه من ورق الذباب اللاصق . . . ها ها . . .

وقال چو :

ـ كنا ننتظر شخصاً مثلك ، لنمارس فيه دعابتنا .

وضحكت أماليا ، وقد أدركت السر فى عدم إقبال الناس على العمل فى شركة التليفونات .

وأخيراً انتهى اليوم ، وكانت أماليا قد رتبت حقائب وحقائب ، وصفت محتوياتها على الرفوف . وكان المطر فى الخارج ينهمر بشدة ، فخيل إليها أنه لن ينقطع ، ولكن ذلك لم يكن يهمها ، ففى الأسبوع القادم ينقطع المطر ، وتتسلم مرتبها فتحقق به أملها فى تعلم الطيران .

وفى الساعة الخامسة دق جرس انتهاء العمل ، فأسرع ويلى وچو يرتديان معطفيهما ويحشران أقدامهما بسرعة فى أحذية المطر ودلفا نحو الباب يبغيان الانصراف على عجل .

وصاح بها ويلى :

ـ إلى اللقاء يا ميليا ، سنراك فى الصباح .

وقال چو :

ـ نحن آخر من يحضر ، وأول من يخرج ، ونحب دائماً أن نحتفظ بالرقم القياسى فى هذه الناحية .

وخرج يجرى إلى الطريق .

وابتسمت أماليا ، فقد أوحت إليها أحذيتهما بفكرة جديدة .

كان المطر ما زال ينهمر فى الصباح التالى ، وأماليا تفرز البريد فى المكتب الخلفى ، وقد لمست صدق ويلى

عند ما قال إن عملها لا يحتاج إلى تفكير . وكانت تسترق النظر إلى چو وويلى لتأمن شر مفاجآتهما ، وأخيراً جمع الفتيان حزمة من الخطابات ، وخرجا بها من المكتب لتسليمها لأربابها .

وأسرعت أماليا إلى خقيبة يدها ، وأخرجت منها مطرقة وبعض المسامير ، واتجهت بها إلى حيث وضع ويلى وچو حذاءيهما المطاطين اللذين يلبسانهما عند الانصراف فوجدت أن الحذاءين موضوعان فى اتجاه الباب ، بحيث يسهل على صاحبيهما أن يدسا أقدامهما فيهما بأسرع ما يكون ضماناً للسبق فى انصرافهما . وأخذت تثبت الأحذية بالمسامير فى الأرض الخشبية . فلما انتهت ، أعادت المطرقة وبقية المسامير إلى حقيبتها ، واستأنفت عملها فى فرز البريد .

ومضى اليوم كما مضى سابقه ، خطاب هنا ورف هناك ، وچو وويلى يجمعان حزم البريد مرة بعد مرة ، ويخرجان بها لتسليمها .

ودقت الساعة الخامسة ، ومعها جرس الانتهاء من العمل ، فأسرع چو وويلى إلى تأدية دورهما المعتاد ، فلبسا معطفيهما ، ودسا أقدامهما فى الأحذية المطاط ، واندفعا إلى الأمام . . . .

وسقط الاثنان على الأرض منكفئين على وجههما !

وانفجرت أماليا ضاحكة وقالت :

– لقد خدعتكما ، هذه المرة ، فوقعتما فى الشرك . . . هاها . . . .

ونهض چو وويلى عن الأرض ، ونظرا إليها دهشين ، ثم تطلعا إلى أقدامهما ، وانفجرا ضاحكين . وأخرجا أقدامهما من الأحذية المبثتة فى الأرض ، ومد چو يده إليها قائلا :

– مرحباً بالصديقة .

وقال ويلى :

– مرحى ، إنك تتحملين دعابة غيرك بذات الروح التى تداعبين بها .

وقال چو :

– أرجو أن تبقى معنا فى هذا العمل وقتاً طويلا .

وقال ويلى :

– وهذا ما أرجوه أنا أيضاً ، فإننا عادة نعمل على التخلص من الفتيات ، ولكنك أعجبتنا .

قالت أماليا :

– سوف أبقى معكما بعض الوقت ، فإن هدفى يتطلب أجور أسابيع كثيرة .

١٦

قائدة الطائرة

فى الساعة الخامسة والنصف صباحاً ، دق جرس المنبه ، فتقلبت أماليا فى فراشها ، وأوقفته . وكانت ترتدى فوق ثياب النوم طاقم الطيران الجلدى اللامع . وفتح باب حجرتها ، ودخلت منه أمها تقول لها :

— إذا لم أستيقظ معك فى هذه الساعة ، تعذرت على رؤيتك طوال عطلة نهاية الأسبوع ، ولكن لماذا ، بالله عليك ، ترتدين ثياب الطيران وأنت فى فراشك ؟

قالت :

— لأنها لامعة جديدة ، والطيارون عادة لا يرتدونها كذلك . فخطر لى أن أنام بها لأجعدها ، وأفقدها جدتها ولمعانها . ولقد ارتديتها طوال الليالى الثلاث الماضية ، وأظننى أصبت بذلك هدفى فإنها تبدو اليوم قديمة .

فضحكت مسز أيرهارت . وقالت أماليا :

— لقد استغرق تعليمى وقتاً طويلا يا أمى ، ولكنى سأطير اليوم وحدى .

فقالت الأم :

ـ وهل أنت مستعدة لذلك ؟

قالت :

ـ نعم ، فقد تمرنت بما فيه الكفاية ، وتعلمت كل شئ حتى الانقلاب بالطائرة ، وكلها احتياطات تفيد عند الخطر .

وقامت أماليا من فراشها ، وشرعت ترتدى ملابسها ، السروال والحذاء الطويل ، فقالت لها أمها :

ـ ما كنت أحب أن ترتدى هذه الأشياء .

قالت أماليا وهى تأخذ السترة الجلدية وغطاء الرأس :

ـ إن المطار ملئ بالغبار ، وثياب النساء لا تساعد على تسلق الطائرة ، وكلهم يرتدى مثل هذه الملابس . وكان بودى أن أقص شعرى قصيراً ليسهل على ارتداء القبعة الجلدية ، غير أنى لا أريد أن أزعج الناس بغرابة أطوارى ، فكفاهم من شذوذى أننى تعلمت الطيران .

وقبلت أمها وقالت :

ـ عودى إلى فراشك يا أماه ، وسأجد ما آكله قبل خروجى ، وعند ما أعود الليلة أكون قد طرت وحدى !

واستقلت أماليا السيارة العامة إلى نهاية الخط ، ثم أخذت تسير حثيثاً فى الطريق الموصل إلى المطار ،

وهى تستعيد طوال الوقت تلك الدروس التى تلقتها على متن الهواء .

وذكرت أول درس لها مع نيتاسنوك ، وما قالته معلمتها فى ذلك اليوم :

– يجب أن تتعلمى أجزاء الطائرة وطرق استعمالها ، قبل أن تحاولى الطيران .

وقد أرتها نيتا الأجنحة ، وحوافها المتحركة ، ودفة المؤخرة ، والمروحة ، ثم صعدت إلى داخل طائرة التعليم ، وكانت مزودجة القيادة ، فشاهدت أماليا فيها عصا التوجيه ، وبدالات الدفة ، ولوحة الآلات .

وقالت لها نيتا :

– عند ما تدرجين بالطائرة على أرض المطار فيجب أن يكون خط سيرك متعرجاً .

فلما سألتها عن السبب قالت :

– لكى تتحاشى الاصطدام بأية طائرة قد يتصادف هبوطها على المدرج ، فأنت لا تستطيعين ، من مجلسك داخل الطائرة وهى جاثمة على الأرض ، أن ترى كل شىء فى المطار لارتفاع مقدمة الطائرة . فسيرك فى خط متعرج يكشف لك المطار ويجنبك أخطار الاصطدام .

ولم تسمح لها نيتا بالارتفاع معها فى الجو ، قبل أن

تتقن دروسها على الأرض ، وفى أول مرة طارت معها فى الجو ، كان دورها قاصراً على مراقبتها وهى تدور فوق المطار .

وتذكرت أماليا ، كيف أسرعت ضربات قلبها ، يوم قالت لها نيتا : « يمكنك الآن أن تمسكى بآلات القيادة » .

ولقد حاولت أن تقلد نيتا فى كل ما تعمل ، ولكنه كان عسيراً عليها أن تحتفظ بالطائرة فى مستوى ثابت ، إذ كانت أقل لمسة للعصا أو الدفة ، تحيد بالطائرة أو تجعلها تهبط فجأة .

وكان درسها الثانى أن تتعلم كيف تدور بالطائرة ، فتمرنت على إدارتها نحو اليمين ونحو اليسار ، وإلى أعلى وإلى أسفل ، وكررت المران مرات كثيرة . وكان أصعب ما بعد هذه الدروس أن تصعد بالطائرة عن الأرض ، وتهبط بها إليها ، وما زالت تجد بعض المشقة فى أداء هاتين العمليتين .

وكم كان حدثاً مثيراً ، يوم قالت لها نيتا إنهما ستتقلبان بالطائرة فى الهواء ، وكانت تعرف أنه لابد من تعلم ذلك ، لا للدعابة والتسلية ، بل لتتعلم كيف ترد الطائرة أثناء الخطر إلى وضعها الطبيعى فى أسرع وقت .وقد تدربت على كافة الحركات من انزلاق وصعود ودوران حتى صارت

تقوم بهذه الأعمال فى لمح البصر .

وعند ما باعت نيتا سنوك طائرتها ، استأنفت أماليا دروسها مع أستاذ جديد اسمه جون مونتيجو . وقد قال لها فى نهاية الأسبوع الماضى :

ـ أعتقد أنك الآن قادرة على الطيران وحدك .

كانت أماليا تنتظر هذه الكلمة فى شوق ، فلما سمعتها تبلبل فكرها ، حتى أصبحت تشك فى مقدرتها على ذلك . قالت لنفسها : « أ أمتطى الهواء وحيدة ؟ وماذا أفعل إذا نسيت كل ما تعلمت ؟ »

وعند ما وصلت إلى المطار ، كانت فى قرارة نفسها تتمنى لو أنها عادت إلى منزلها ولاذت بفراشها ، ولكنه كان شعوراً طارئاً لم يلبث أن ذهب عنها .

وحيت كثيرين من الطيارين بالمطار ، فقال لها أحدهم :

ـ علمت أنك ستطيرين اليوم وحدك .

وقال آخر :

ـ لست أستبعد أن تظلى فى الهواء حتى ينفد الوقود منك ، كما فعلت أنا فى أول مرة طرتها .

وقال ثالث :

ـ سوف نراقبك وأنت تصعدين بالطائرة عن الأرض .

وابتسمت لهم أماليا ، فكل منهم قد مر بمحنة الطيران

أول مرة ، ولكنهم نسوا ، والآن يضحكون منها ، فأحست بشيء من الاطمئنان .

ورأت أستاذها يقف بجانب طائرة التمرين . قال لها :

ـ أ أنت مستعدة للطيران وحدك ؟

قالت

ـ نعم يا چون . وأظننى تعلمت ما فيه الكفاية .

قال :

ـ طبعاً ، فأنت تعرفين كثيراً .

وصعدت أماليا الطائرة مسرعة ، ودخلت مكان القيادة ، وقد خشيت أن تفقد شجاعتها . ولم تعن بفحص الطائرة ، إذ لم يكن يشغلها سوى أمر واحد ، هو أنها ستطير وحدها ، ستطير وليس معها من يساعدها إذا ما تعرضت للخطر .

ووضعت عويناتها ، وثبتت على رأسها الغطاء الجلدى ، ثم وضعت قدميها على بدالتى الدفة ، وهى تقول فى نفسها : « يجب أن أذكر أن هذه تغير اتجاه الطائرة » . وأمسكت بعصا التوجيه وقالت : « وهذه تتحكم فى مقدم الطائرة ، وحواف أجنحتها » . وتذكرت فى هذه اللحظة أن تلميذاً ، فى الأسبوع الماضى ، طار وحده لأول مرة ، وبلغ به الانفعال أن نسى هذه الدروس البسيطة .

قالت للميكانيكى :

ـ أدر المحرك .

وأدار جون المروحة ، فشرعت تدور ، وسارت أماليا بالطائرة فى منحنيات كما علمتها نيتا ، واستدارت تستقبل الريح ، ثم أوقفت الطائرة وزادت سرعة المحرك لتختبر مولدات الكهرباء ، وفحصت كل مؤشر فى اللوحة على حدة لتتأكد من أنه سليم . قالت لنفسها وهى تدرج على الأرض بالطائرة : « ها أنا ذا أبدأ الطيران » .

ودرجت الطائرة ، فجذبت أماليا عصا التوجيه إلى ناحيتها ، موجهة مقدم الطائرة إلى أعلى ، فبدأت ترتفع ، ولكنها أحست بخطأ ما ، استعصى عليها معه جناح الطائرة الأيسر.

سألت نفسها متعجبة : « ترى ماذا صنعت ؟ »

كانت ما تزال فى البداية ولم تجرؤ على الاستمرار ، فدفعت عصا التوجيه إلى الأمام ، وبذلك عادت الطائرة إلى الأرض ، فأوقفتها.

وجرى نحوها جون مونتيجو والطيارون الذين يراقبونها ، وسألها أستاذها :

ـ ماذا جرى ؟

فقالت أماليا :

ـ لست أدرى ، ولكن الجناح الأيسر لا يرتفع .

ثم نزلت من الطائرة وهى تضحك فى عصبية وتقول :

ـ كانت رحلة قصيرة .

وانحنى الميكانيكى تحت الجناح يفحصه ، وقال :

ـ إن مانع الاصطدام مكسور وسوف أصلحه .

وعادت أماليا مع الرجال إلى مظلة الطائرات ، وهى تقول فى نفسها : « لن أقود بعد اليوم طائرة ما لم أفحص آلاتها بنفسى . هب أن هذا العطب أصابها وأنا فى أعالى الجو ، لا على أرض المطار ؟ ! »

وأخيراً انتهى الميكانيكى من إصلاح العطب ، وفى هذه المرة فحصت أماليا الطائرة بنفسها فحصاً دقيقاً ، فبدأت بالناحية اليسرى من المحرك ، واختبرت الإطارات والاسلاك الموصلة بالأجنحة ، وألواح الأجنحة ، كما نظرت إلى الدفة وأجزائها ، وبعد ذلك كررت العملية فى الناحية اليمنى من الطائرة .

ولما انتهت صعدت إلى مكان القيادة ، ومرة ثانية درجت بالطائرة على أرض المطار ، واستعدت للتحليق ، ومرة ثانية اختبرت مولدات الكهرباء وآلات الطائرة كما علمتها نيتا وعلمها چون . قالت لنفسها : « ها أنا ذا أبدأ ثانية » .

وأسرع المحرك وارتفعت الطائرة بانتظام وخفة ، قالت فى نفسها : « لم يكن ارتفاعى عن الأرض سيئاً » . وصعدت الطائرة فى الهواء ، فشعرت أماليا بطنين فى أذنيها ، وجفاف فى حلقها . وكانت الريح تهب على وجهها وهى تزيد تحليقاً بالطائرة ، ثم دارت إلى اليسار وهى لا تدرى كيف فعلت

ذلك ، واعتدلت بعد ذلك واستوت فى مسيرها على ارتفاع خمسة آلاف قدم . قالت فى نفسها :

— إنى أطير ، أطير وحدى ، ولست خائفة . إن أبدع شعور فى الدنيا أن أكون وحدى فى السماء ، أخترق السحب الثلجية ، ولا أظن أن هناك شعوراً أجمل من ذلك ، وأحس أنى سوف أطير دائماً .

ودارت أماليا دورة ثانية ، ثم استوت بالطائرة وهى تسبح فى الهواء نحو المطار . لقد كان صعودها عن الأرض موفقاً ، وأمامها الآن مشكلة الهبوط فهل يوفقها الله فيها ؟

واستقبلت مدرج النزول مستعدة ، قالت فى نفسها : « يجب أن أنزل على العجلات الثلاث معاً ، الأماميتين والخلفية » .

ولكن الطائرة اصطدمت بالأرض ، فقالت فى نفسها : « لم يكن هبوطاً موفقاً ، ولم أهبط على العجلات الثلاث ، رغم المرات الكثيرة التى تمرنت فيها على النزول » .

وجرى مونتيجو ليقابلها ، وقال لها :

— لقد نجحت ، وكنت رائعة ، لولا هذا الهبوط السيئ .

قالت :

— أعلم أنه كان سيئاً ، ولكنى طرت وحدى ، وهو أمر عظيم الأهمية ، وسوف أحصل على ترخيص بالطيران ، وعندها أصبح قائدة بالمعنى الصحيح .

١٧

أماليا أيرهارت : طليعة الطيران

فى مساء ٢١ يونية ١٩٣٢ ، وقفت سيارة سوداء كبيرة أمام درجات البيت الأبيض ، بواشنجطون عاصمة الولايات المتحدة ، وخرجت منها أماليا أيرهارت وزوجها جورج باتمان ، وصعد الاثنان السلم ودخلا من الباب العتيد .

قالت أماليا :

ـ أكاد لا أصدق ما أنا فيه يا جورج ، فقد كنت أتصور وأنا طفلة صغيرة أننى سأتناول العشاء مع رئيس الولايات المتحدة ، فكان الأطفال يضحكون منى ، ويقولون أنى لن أقابله فى حياتى .

وضحك زوجها وقال :

ـ لقد تحققت أحلامك ، وستكونين اليوم ضيفة الشرف لدى الرئيس هوفر .

ولمعت عينا أماليا ، وقالت :

ـ يبدو أن أحلامى كلها تتحقق .

فقال زوجها يذكرها :

ـ لا تنسى كم تعبت وجاهدت فى سبيل تحقيقها .

وقادهما موظفو البيت الأبيض إلى ردهة الاستقبال الواسعة ، وقدموهما للضيوف الآخرين ، وهم الدكتور جلبرت جروزفنر ، رئيس الجمعية الجغرافية الأهلية ، ثم القاضى هيوز رئيس المحكمة العليا وزوجتاهما ، وكان هناك غيرهم من كبار المدعوين .

ودخلوا بعد ذلك إلى قاعة العشاء الرسمية ، فجلست أماليا فى مكان الشرف يمين الرئيس ، وكانت القاعة مضاءة بثريات من البلور ، والمائدة عامرة بالأوانى الفضية البراقة .

قال الرئيس :

ـ من دواعى سرورنا العظيم أن تكونى ضيفتنا يا مس أيرهارت .

فأجابت أماليا :

ـ بل يشرفنى كثيراً أن أكون هنا .

قال :

ـ لقد قمت بما لم تقم به امرأة أخرى فى عالم الطيران .

قالت :

ـ لم يكن هناك مكان أكتشفه ، فكان على أن أكشف عالماً جديداً ، هو عالم الهواء .

كان مدرج قاعدة الدستور بواشنجطون عامراً بمن حضروا لرؤية أماليا أيرهارت ، وهى تتسلم المدالية الذهبية

للجمعية الجغرافية الأهلية . وقد ضاقت القاعة ، على سعتها ، بكل من رغبوا فى حضور هذه المناسبة العظيمة .

وهبط الوزير هنرى ل . ستمسون وزوجه سلم المنصة ، وفى صحبتهما النائب العام وليم ميتشل وزوجه ، وكانوا يتحدثون ، فقال مسير ستمسون :

ـ إنها مناسبة عظيمة ، فإن مدالية الجمعية لا تعطى إلا لأصحاب الأعمال العظيمة فى علم الجغرافيا ، وقد نالها اثنى عشرة رجلا ، ولكن أماليا أيرهارت أول امرأة تحوزها .

فقالت زوجه :

ـ إنها إمرأة فاتنة ، وأنا فى شوق لرؤيتها مرة ثانية .

وأومأت مسز ميتشل قائلة :

ـ إن لها ابتسامة جميلة ، وكأنها صبى بشعرها القصير وطاقم طيرانها ، أما فى ملابسها العادية فهى امرأة جذابة مرهفة ، ومن العسير أن يصدق المرء أنها صادفت كل هذه الأخطار والصعاب .

فقال النائب العام :

ـ لا بد أنها ذات شجاعة فائقة ، وإلا ما كانت أول امرأة تعبر المحيط الأطلانطى .

فسأله مستر ستمسون :

ـ أتشير إلى طيرانها عام ١٩٢٨ بالطائرة فرند شيب ؟ قليلون من الرجال سبقوها إلى هذه الرحلة التى قامت بها

مع ويلبور ستولتز ولويز جوردون ، وكانت متواضعة جداً فى جهدها هذا ، ولكن إنجلترا اعتبرته عملا جليلا ، وأقامت نصباً تذكارياً فى المكان الذى هبطت فيه بطائرتها فى مقاطعة ويلز .

قالت مسز ستمسون :

— لقد أعجبتنى الكتب التى ألفتها ، فهى كاتبة بارعة ولها أسلوب جذاب فى سرد قصة طيرانها .

وقال مستر ميتشل :

— لما تزوجت ناشرها، مستر جورج باتمان ، ظننت أنها قد تهجر الطيران وتكتفى بالزواج .

فقالت زوجه :

— من دواعى السرور أنها لم تهجر الطيران ، فبممارسته أثبتت أنه فى مقدور المرأة المتزوجة أن تنجح فى مهنتها أيضاً .

وفى مكان آخر من المدرج جلس شابان من ميكانيكى الطائرات يتحدثان .

قال أحدهما واسمه بول :

— كان لطيفاً من مس أيرهارت أن ترسل لنا تذاكر لحضور حفل الليلة .

فأجاب بيل موافقاً :

— نعم ، ولم تنس أحداً من الفتيان الذين عملوا فى طائرتها .

قال الآخر :

— لقد مضى اليوم شهر منذ أن طارت وحدها عبر الأطلانطى ، وسجلت برحلتها رقماً قياسياً جديداً ، فقد قطعت المسافة من نيوفاوندلاند إلى إيرلندة فى أربع عشرة ساعة وست وخمسين دقيقة ، وكانت طائرتها من صنع لوكهيد فيجا ، وهذا ما أسميه طيراناً ! !

قال بيل :

— ليس الفضل للطائرة وحدها ، بل الفضل لقائدتها التى كسر منها مقياس الارتفاع ، فلم يعد لديها مايدلها على مدى بعدها عن الماء ، ولست أتمنى أن أقع فى مثل ورطتها هذه .

فسأله پول :

— أكان ذلكَ قبل أن تدخل فى نطاق العاصفة ؟ لقد سمعت أن الصواعق كانت تهز طائرتها هزاً ، بحيث يصعب توجيهها ، ولذلك شردت عن طريقها .

فأومأ بيل برأسه وقال :

— حدثتنى مس أيرهارث ذات مرة أنها لا تخاف الصواعق ، فعند ما كانت صغيرة علمها والداها ألا تخشى الزوابع .

قال الآخر :

— لقد اضطرت بسبب تلف مقياس الارتفاع ، أن تطير فى الظلام عالياً لتبتعد عن سطح الماء ، فثقل جناحا

الطائرة بالثلوج ، مما جعلها تهبط هبوطاً رأسياً .

قال بيل :

— ياله من موقف حرج ، ويقولون إنها لم تتمكن من السيطرة على الطائرة حتى كادت تمس أمواج المحيط .

فقال پول مكملا :

— ولم يقف سوء حظها عند هذا الحد ، فقد اشتعلت النيران فى محرك طائرتها أيضاً .

قال بيل :

— من حسن حظها أن النار لم تصل إلى مخزن الوقود ، إلا كانت نهايتها ، ولكنها ثابرت على طيرانها .

قال پول :

— من عجائب القدر أن نجت بحياتها ، فأمكنها أن تكون بيننا هذه الليلة ، إن لديها من الشجاعة ما ليس لكثير من الرجال .

قال بيل :

— هذا حق ، فلا غرابة أن نالت كل هذا التكريم ، لقد احتفى بها الملوك والملكات والساسة ، وأعطتها فرنسا وسام اللوجيون دونير ، هذا إلى مختلف أنواع الجوائز التى نالتها ، واليوم تحصل على هذه الميدالية ، التى لا يحصل عليها إلا الأفذاذ .

قال پول :

— إنها امرأة لطيفة المعشر ، يحبها من يعملون معها فى المطار ، فليس فى طبيعتها شىء من الغطرسة .

قال بيل :

— وهى ماهرة تعرف دقائق عملها ، وتحرص على اختبار طائرتها بنفسها قبل الطيران .

قال پول مكملا :

— وتحفظ آلات الطائرة عن ظهر قلب ، ولا يفوت على علمها شىء فيها .

وقال بيل :

— ما كنت لأتأخر عن حضور هذا الحفل لأمر مهما عظم ، فأنا أشعر أنى ساهمت بقسط صغير فى تلك الرحلة التى قامت بها وحدها عبر المحيط الأطلانطى ، فضلا عن أنى أجل مس أيرهارت ، وأحب أن أراها تكرم لأنها أهل للتكريم .

قال پول :

— وهذا شعورى أيضاً ، فهى امرأة عظيمة .

وبدأت موسيقى البحرية تلعب أنغامها ، فخرج رئيس الولايات المتحدة يسير نحو المنصة فى قاعة الدستور ومعه رئيس الجمعية الجغرافية وأماليا أيرهارت .

واحست أماليا أنها ضئيلة جداً فى هذا المسرح الكبير ، ونظرت إلى القاعـــة الفسيحة ، التى امتلأت مقاعدها بالحاضرين ، ولمحت بجانب المسرح سلة كبيرة من الزهور أرسلتها مسز هوفر زوج الرئيس .

وقدم الدكتور جروزفنر ، رئيس الجمعية الجغرافية الأهلية ، الرئيس هوفر إلى المستمعين البارزين . ونهض الرئيس ، وفى يده المدالية الذهبية ، وقد كتب على وجه منها « من الجمعية الجغرافية الأهلية إلى أماليا أيرهارت أول امرأة تطير عبر المحيط الأطلانطى وحيدة ، مايو ٢٠ — ٢١ سنة ١٩٣٢ » .

قال الرئيس :

— « لقد كانت مس أيرهارت متواضعة قوية الروح ، وأعمالها ترفعها إلى مصاف طلائع النساء العظيمات ، من تتطلع إليهن أمريكا بعين الإعجاب ، تقديراً لقوة شخصيتهن وروحهن الأخوية المرحة ، فيما يعملن لصالح العالم » .

ثم قدم رئيس الولايات المتحدة لأماليا أيرهارت جائزة الجمعية الجغرافية الأهلية ، وكانت مدالية الاستحقاق الذهبية . فقد أتت بما لم تأت به امرأة قبلها ، ففتحت طريق الجو عبر المحيط ، وبذلك أنارت ميداناً جديداً لطيران النساء ، سوف يتبعها فيه كثيرات .

DATE DUE

JAFET LIB.
30 JUN 1978

[redacted]
هاو ،جين مور
اماليا ايرهارت: فتاة كانساس
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01030346